www.awu-dam.org

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1293» 28/4/ 2012 م - 7جمادى الآخرة 1433هـ
السنة السادسة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

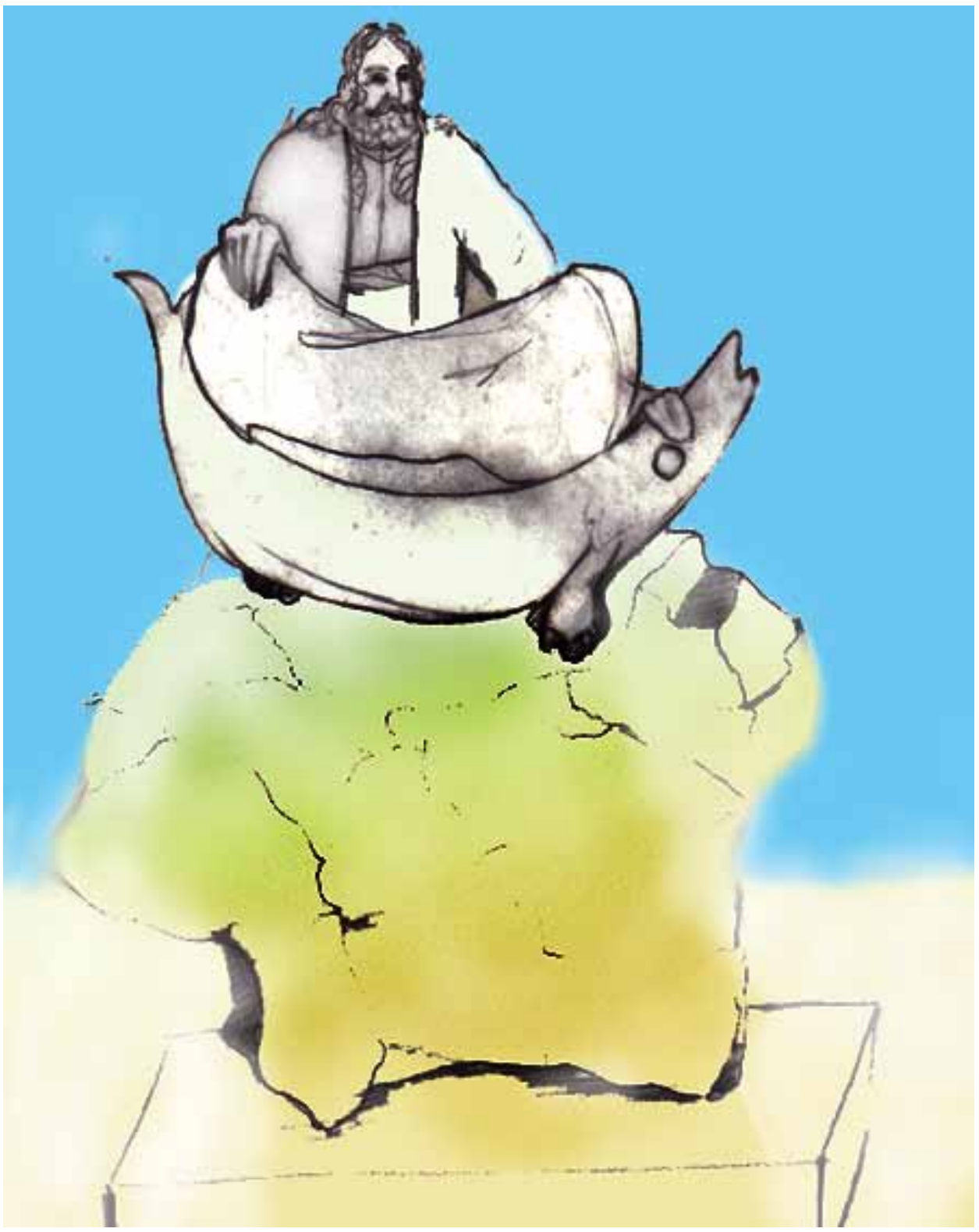

اللوحة للفنان التشكيلي أيمن ناصر

العولمة والفن المعاصر

فرسان غيبهم الموت في العام ٢٠١١م ..

الصمتُ والمكان

صورة على الجدار

إيقاعاتٌ مُلوَّنَة .. أيضاً

بلاغة لغة الغموض في التعبير الأدبي

قضية الجلاء في الأمم المتحدة

الفرصة الذهبية

ثقافة!!

رمضان إبراهيم

عندما شاءت الأقدار وامتلكتُ شجاعتي وحزمتُ أمري، وقرعتُ أبواب بعض الأصدقاء « الطفرانين» أمثالي للحصول منهم على مبلغ كافٍ لطباعة مجموعتي القصصية الأولى « أقاصيص الهروب، «التي لا أود التحدث عنها الآن انطلاقاً من المثل القائل: القرد بعين أمّو غزال.

كان أول ما تبادر إلى ذهني هو العدد الذي سأطبعه، لاسيما وأن أمثالي يفرحون للعمل الأول تماماً كفرحتهم بالمولود الأول.

صاحب دار النشر الذي يهمّه الربح قولاً واحداً، لأنه لا يتكفل بتسويق العمل ونشره وتوزيعه، اقترح عليّ أن أطبع ألف نسخة. وعند سؤالي له عن كيفية تصريفها وبيعها، ضحك وقال:

- يا رجل!! ألا تملك المزيد من الرفوف في منزلك؟!..أو حتى مستودع!

ابتسمت وأنا أتذكّر (السقيفة) المتخمة بالكراكيب والحاجيات التي لو اطلعت عليها مديرية الآثار لبادرت فوراً إلى شرائها مني:

- نعم.. أملك المزيد من الرفوف! وأملك أيضاً سقيفة كبيرة.

ربّت على كتفي وقال مستوحياً من خطابات افتتاح القمم العربية:

- على بركة الله.

صديقي الذي لم تشأ الأقدار له أن يصبح كاتباً، اقترح أن أطبع ألفي نسخة، وختم بالقول:

- هكذا كان يفعل تشيخوف!

عندما ضحكتُ بسخريتي المعهودة.. رشقني بنظرة استغراب، وقال:

- ما حدا بيخلق من بطن امّو كبير!!

زوجتي التي أبدت تحفظاً على قرار الطباعة كالمندوبين العرب عندما يتعلق الأمر بقضية فلسطين، اكتفت بالقول:

- كل ما أتمناه أن لا تندم في النهاية.

صديق والدي الملقب «أبو اصبع» اقترح عليّ أن لا أطبع أي نسخة.. وأكثر من ذلك، لقد اقترح عليّ أن أكسر الدف «القلم» وأبطل الرقص«الكتابة».

أمّا جدّتي التي تجاوزت التسعين من العمر، فقالت لي وهي تهمّ بالخروج من منزلي:

- كتاب شو ولك مجنون!

ابتسمت واقتربت من أذنها قائلاً بصوت قوي:

- مجموعة قصص.. يعني ثقافة ياستي!

هزّت رأسها ثم حدّقت ملياً في وجهي وقالت:

- إي مرحبا.. ثقافة!!

لم أشأ أن أرد عليها؛ إذ اكتفيت بالضحك وبتقبيل يدها.

المهم وعلى رأي المثل القائل: (شاور الناس ثم عُد إلى رأيك). قررتُ أن أطبع ألف نسخة. وبدأت أعد الأيام والأسابيع كي يبصر عملي النور. ومع أنهم يقولون إن ابن الأربعة أشهر لا يعيش، إلاّ أن مجموعتي القصصية قد شذّت عن هذه القاعدة.

قصدت دار النشر وحملتُ الرزم إلى المنزل وكانت صدمة زوجتي من العدد الكبير لرزم الكتب:

- شو ناقصنا كراكيب بالسقيفة؟!

ابتسمتُ في محاولة للخروج بأقل عدد من الخسائر:

- لكنها عملي الأول! تماماً كفرحتنا بقدوم ابنتنا الأولى.

حدّقت ملياً ثم قالت لي:

- يجب أن تصرّفها فوراً.. منذ الغد، عليك بالحصول على موافقة من وزارة الثقافة لاقتنائها.

حدّقتُ في رزم الكتب ثم قلت:

- اللهم أفرجها على عبدك.. يا أرحم الراحمين.

المهم.. بعد حوالي الشهر حصلت على الموافقة، وبدأت جولاتي المكوكيّة على مديريات الثقافة تماماً كجولات فيليب حبيب في العام 1982.

بدأت بالمنطقة الساحلية، وتمكنت بعد تدخّل الأصدقاء والزملاء والجاهات وأعضاء المراكز البلدية ورؤساء الجمعيات الحرفية والروابط الفلاحية ومدراء المصارف والمصالح العقارية ومستثمري كراجات طرطوس واللاذقية.. وبعتُ ثلاثين نسخة. وبحساب بسيط وبعد اقتطاع ضريبة الدخل وضريبة المراكز الثقافية، وثمن طوابع بريدية قبضت ثمن تلك الكتب خمسة آلاف ليرة.. وعدتُ إلى منزلي وكأنني قد ربحت الجائزة الكبرى من (حك واخسر.. عفواً حك واربح).

لدى مناقشة الأمر مع أصحاب الخبرة في التسوّل لبيع نتاجهم الأدبي، اقترحوا عليّ أن أقصد المحافظات التي تتمدد طولاً وعرضاً، فبدأت من محافظة مجاورة. وأقسم لكم إنني كنتُ متشائلاً على رأي أمين عام الجامعة العربية.

في العاشرة والنصف كنت أقف بين يدي السيد مدير الثقافة. ألقيت تحية الصباح وأنا باشّ الوجه، لكنني فوجئت بعدم ردّه على تحيتي! ظننته كجدّتي.. اقتربت منه، وأنا أتأبط كتابي، ثم أعطيته إياه قائلاً:

قصدتكم من مسافة مئة وخمسين كيلو متراً على أمل المساعدة.. أرجو أن لا أعود بخفي حنين كما يقال.

قطّب حاجبيه وبدأ يصفر وينفخ، وهو يقلب المجموعة مستغرباً من أن سعرها مئتا ليرة:

- ما هذا؟!..مئتا ليرة!!

- نعم.. أي ما يعادل علبتي تبغ من تلك التي أمامك.

أطرق قليلاً ثم قال:

- والله لن آخذ منك أي نسخة حتى ولو أنك أتيت من... (ربما سأفصح عمّا قاله لي لاحقاً).. وعلى كل حال هذا (الكرت) عليه رقم هاتفي.. اتصل بي لاحقاً.. ربما توفرت الاعتمادات.

- لكننا في بداية السنة، والاعتمادات مازالت ساخنة!. ثم..هل ستدفع ثمن صفقة طائرات أواكس؟!

نظر إليّ شزراً ثم قال:

- وما علاقتك بذلك؟! الله معك.. مع السلامة.

حملتُ كتابي وقلتُ وأنا أجرجر ذيول خيبتي وألعق تفاؤلي وأفكر برزم الكتب في بيتي:

- ويتحدثون عن الثقافة ؟! ويتشدقون بالحراك الثقافي وهم من ألد الأعداء للثقافة؟! أيّ ثقافة سوف تتطور في ظل نماذج كهذه ؟!

رحم الله جدّتي التسعينيّة التي قالت لي ذات يوم:

- إي مرحبا.. ثقافة!!

مسمار جُحا

خليل النابلسي

قيل بأنّ ((جُحا)) باع منزلاً لأحدهم، ولكنّه قبل أن يخرج دقّ مسماراً في أحد جدران المنزل، وبقي ((جُحا)) يتردد على المنزل بحجه الاطمئنان على المسمار، حتى ضجر وملَّ صاحب المنزل من زياراته، فخلع الصاحب المسمار وألقاهُ في وجه ((جُحا)) وهو يشتم ((جُحا)) ومسماره.

أما أكذوبة العصر التي اخترعتها الولايات المتحدة الأمريكية: وهي أن العراق تمتلك أسلحة نووية، لم تجد آذاناً ولا واقعاً يصدق هذا الافتراء.

وبما أن أمريكا تحلم بأن تكون وصيّةً على الشّعوب شعُوب العالم، فهي لا تريد أحداً أن يمتلك هذه القوة إلاّ هي وإسرائيل، وبما أنهّا تدّعى حرصها على الشعوب، فقد زجّت بجيوشها وقواتها العسكرية والتي تُقدّر بـ((300000))جندي، بالإضافة إلى معداتها الحربية وغزت العراق، بذريعة أنها جاءت لتخلّص العالم من شرّ العراق وأسلحة العراق.

وكان الغزو الهمجي عام ((2003))، وشاركتها شكلاً تلك الدول التي تختبئ تحت جناح الولايات المتحدة الأمريكية.

فكان أن قُتل الملايين من الشعب العراقي، وهُجّر وشرد الملايين.

وحسب توصيات اللوبي الصهيوني، هدمت وأحرقت وسلبت ونهبت ودمرت ما شاء لها ذلك، ولم تخرج إلاّ في نهاية العام ((2011)) بعد أن تركت العراق مريضاً متهالكاً خائر القوى، قتلت علماءه ودمرّت حضارته، وتركته نهباً للفقر والجهل والتخلّف والطائفية والعشائرية المذهبية.

وكلّ ذلك قد يهون تُجاه ما بقي من القوات الأمريكية في العراق، وهي قوات، تقدّر بأربعة آلاف جندي بحجة تدريب الجيش العراقي، وبناء الجيش العراقي، وتجديد الجيش والأمن العراقيين، بالإضافة إلى عشرة آلاف جندي لحماية السفارة والقنصليات الأمريكية المنتشرة في معظم مدن العراق.

وفي الحقيقة إن هذه القوات هي ((مسمار جُحا)).

بقيت في العراق كي يبقى لأمريكا موطئ قدم؛ إذ كيف يتسنى لها أن تتجسّس على المنطقة بكاملها من روسيا مروراً بإيران وباكستان وأفغانستان والوطن العربي وغيرها؟؟؟!!!

وبوجود هذا المسمار تحاول أمريكا أن تخفي هزيمتها في المنطقة، وبخاصة بعد أن تنسحب من أفغانستان في عام ((2014)) رغم الخسائر البشرية والاقتصادية التي مُنيت بها في المنطقة, وآخرها كان إسقاط طائرة أمريكية من دون طيار من قبل إيران.

وبعد أن انقلبت العلاقات مع الباكستان إلى درجة كبيرة من التوتر, وأنتم تعلمون بأنها اقترحت على الرئيس الأفغاني ((حامد كرزاي)) أن تبقى أمريكا في أفغانستان حتى عام ((2024))، لأنها لم تتمكن خلال كل هذه السنوات أن تقضي على طالبان والقاعدة.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية وما زالت تحلم بأن يجري في سورية ما جرى في العراق, لتخرّب وتدمر هذا البلد, وتزرع فيه بذور الفتنة والفرقة والجهل والتخلف والقتل والدماء.

ولطالما هناك جندي أمريكي واحد في العراق سيبقى ((مسمار جحا)) كالسيف مغروساً في صدر العراق , وسيبقى اللوبي الصهيوني ورديفه (C.I.A) يعيثان فساداً وتجسساً وتخريباً وتدميراً إلى ما شاء الله.

وتعلم أمريكا بأنها لن تجد في سورية مرتعاً خصباً, بل ستجد صخرة صلبةً لن تستطيع أبداً أن تدق ((مسمار جحا)) في هذا البلد أبداً، وهي تعلم بأن الشعب السوري وبكل شرائحه رفض ويرفض أبداً التدخل الأمريكي أو غيره. ((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)).

سورية المتجددة.. ودور المواطنة الحقيقية في بنائها

نبيل فوزات نوفل

أثبتت المواطنة أنها القوة الرافعة لبناء مجتمعات قوية مزدهرة مستقرة, ولذلك أخذ قادة الفكر والسياسة في العقود الأخيرة من القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين يولونها كل الاهتمام، وأخذت الدول والأحزاب السياسية الراغبة ببناء أوطانها بناء حقيقياً تتجه إلى العمل بها ووضعها في دساتيرها كأحد المبادئ الهامة . وكان أفلاطون قد عدّ أبناء المجتمع ينتمون إلى أرض واحدة اتخذوا منها موطناً لهم؛ فهذا الوطن كما يقول هو أمهم وهو مرضعتهم المشتركة, فيجب عليهم جميعاً حمايته من أي واحد منهم إذا اجترأ على مهاجمته. ولأنهم ينحدرون من أصل واحد, فإن عليهم إن يعدّوا بعضهم بعضاً إخوانًا. وفي هذا الإطار تكون المواطنة ليست مسألة حقوق وواجبات من دون بُعد يحمل معنى الضابط الأخلاقي؛ لأن حركة المجتمع الإنساني إذا ارتبطت بالمعنى القانوني فحسب (حق وواجب)؛ سوف تغيب أخلاقيات وسلوكيات عدة من الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، وعدم إعطاء معنىً وانتماء وهدف لحياتنا, وعدم وجود إطار عمل لقيمنا, وانشغالنا بذواتنا بشكل مرضٍ. ونحن اليوم مع بداية مرحلة جديدة من بناء سورية المتجددة, القوية المزدهرة الصامدة، بحاجة إلى ترسيخ المواطنة فكرًا وممارسة. تلك التي هي منجز أنساني, يرتبط تحقيقه بتوفر أمرين أساسيين, الأول: المشاركة في الحكم من خلال العملية الديمقراطية التي تقوم على مشاركة الفرد في ممارسة السلطة كمرشح أو كناخب، وكفالة حق التصويت للجميع, ونزاهة الانتخابات وحريتها, بالإضافة إلى توفر المساءلة والرقابة المتبادلة بين مؤسسات النظام السياسي؛ والثاني: المساواة بين جميع المواطنين في ضمان الحقوق وأداء الواجبات؛ بحيث يتمتع كل فرد منهم بحقوق والتزامات مدنية وقانونية واجتماعية واقتصادية وبيئية, بالإضافة إلى المساواة أمام القانون من دون الأخذ بعين الاعتبار الوضع الاجتماعي أو المركز الاقتصادي أو العقيدة السياسية أو غيرها من الاعتبارات، وبالتالي فالمواطنة تعد جوهر التفاعلات التي ينتجها المجتمع, ومكوناً أساسيًا من مكونات الدولة بصيغتها المدنية المعبرة عن تفاعل جميع تكويناتها الداخلية وانصارهم. وهذا يحتم أن تشير النصوص الدستورية في أي دولة على إقرار مبدأ المواطنة ووضعه موضع التطبيق، إذا كانت فعلاً تريد مجتمعاً متماسكاً غير قابل للاهتزاز والتفتت والانقسام. وتقديراً لأهمية المواطنة ودورها في الحفاظ على الوحدة الوطنية والنهوض بالوطن وتحصينه، واستثمار كل طاقاته في سبيل قوته واستقلاله؛ فقد نص دستور الجمهورية العربية السورية الذي تم الاستفتاء عليه من قبل الشعب العربي السوري في 2012/2/26م في مادته الثالثة والثلاثين: «المواطنة مبدأ أساسي ينطوي على حقوق وواجبات يتمتع بها كل مواطن ويمارسها وفق القانون» .

ومما يساعد على ترسيخ المواطنة في المجتمع أن تصبح ثقافة المواطنة هي السائدة؛ لأن المواطنة هي الوطن الذي يمثل مفهوم الانتماء إلى الأرض، وهذا يتطلب: توفر كل الظروف التي تسهل تطبيق المواطنة؛ وأهمها: سيادة القانون في كل مؤسسات المجتمع, وترسيخ مفهوم المواطن بوصفه قيمة ثمينة في المجتمع وكل السلطات تخدم حقوقه كافة وتحميها، وتوفر الحصانة القانونية التي تحميه من القهر والابتزاز, والإيمان بأن قدرة الوطن على العطاء تتحدد أولاً، وأخيراً بمدى ما يحصل عليه الوطن من عطاء أبنائه, والتزاماً أخلاقياً من قبل المواطن تجاه المكان الذي يسكنه؛ بدءاً بالحب، وانتهاءً بتجسيد متطلباته فكراً، وبالولاء والشعور بالانتماء، وعملاً بالعطاء المتبادل البنّاء بين الوطن ومسؤولية من يسكن فيه . وفي سبيل تجسيد ذلك على أرض الواقع، لابد أن تساهم كل قطاعات المجتمع في هذه المهمة الوطنية الكبرى، وخاصة المؤسسات الثقافية والتربوية؛ لأن عملية تربية قيم المواطنة وتعلمها مسؤولية جماعية لكل مؤسسات المجتمع؛ بدءاً من الأسرة والمدرسة ووسائل الأعلام وغيرها، فلا يكفي أن يعلم الناس معنى المواطنة؛ بل أيضًا أن يقوم هؤلاء المواطنون بالممارسة العملية لمعنى المواطنة على أرض الواقع، وترجمة شعورهم بالانتماء الوطني, الذي ينمى ويعزز من خلال عمليتي التربية والتعليم, وبالتالي لا يُنصح بتعليم الفرد ماهية حقوقه وكيفية الحصول عليها من دون أن يترافق ذلك مع تدريبه على أداء واجباته, وذلك لدرء مفسدة تحوّل العملية التربوية إلى تربية على الأنانية وحب الذات وعدم الشعور بالآخرين؛ بل أن نعزز لديه الشعور بشرف الانتماء للوطن, والعمل من أجل رقيه وتقدمه, والحفاظ على مكتسباته, والمشاركة الفاعلة في خطط تنميته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية, وبث الوعي فيه بتاريخ وطنه, وتثقيفه بالأهمية الجغرافية والاقتصادية للوطن.

إن الانتماء الوطني ليست ادعاء يدعيه المواطن أو مقولة تقال أو خطبة تذاع, وإنما هو التزام ومسؤولية, حيث يترجم هذا الالتزام بتحمل المسؤولية الوطنية، ومن هنا يكون للحوار الدور الأساس في ترسيخ قيم المواطنة بين أفراد المجتمع, ويعد هو الطريق الأمثل لبناء المواطنة الحقيقية التي تقوي وتعلي من بنيان الوطن؛ فهو صمام الأمان الذي يحافظ على الوحدة الوطنية والسلاح الأمضى في المجتمع, والعمود الفقري لهذه الوحدة الوطنية هو الإيمان بالمواطنة ثقافة وممارسة؛ وتجسيدها على أرض الواقع, والسبيل إلى تحصينها بشكل دائم هو الحوار الصحيح الجاد, مع الأخذ بعين الاعتبار أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تصل الخلافات بين المتحاورين إلى الإساءة إلى الوحدة الوطنية للمجتمع, أو تؤدي إلى تدخل أي قوة خارجية بالحوار بين أبناء الوطن, وأن يكون الهدف النهائي لكل حوار هو مصلحة الوطن والمواطن أولاً وأخيراً, وبقاء الوطن قوياً مصاناً حراً هو جوهر كل حوار وطني, قبل أي اعتبار أو مصطلح أو هدف آخر؛ لأننا إذا لم نفعل ذلك, فلن نجد وطناً نتحاور على ترابه ونتنفس من هوائه؛ بل سنكون جميعاً عبيداً لرعاة البقر الجدد, وبالتالي فأساس الحوار هو قوة الوطن ومنعته ووحدته, وأن لا يكون هناك أي حوار مع الذين يقتلون الشعب ويتآمرون عليه, ويدعون للتدخل الأجنبي فيه بهدف الوصول إلى مكاسب دنيئة, والوقوف في وجه كل ما يسبب الفرقة ويثير الفتنة ويقسم الوطن؛ فهذا الأمر ليس وجهة نظر, لأنه ينحدر إلى درجة الخيانة الموصوفة, والكارثة الخلقية والإنسانية, وهذا لا يمت إلى الحوار بأي صلة؛ فلنعمل جميعاً من أجل وطن تسوده المواطنة الحقيقية المعززة بالحوار الصادق الهادف الذي يبني الوطن القوي المزدهر.

الأمثالية

حسين جمعة

أسئلة بريئة

نحن لا نريد أن نتهم أحداً في الانخراط بالمؤامرة على الوطن العربي عامة وسورية خاصة منطلقين من جوهر الاختلاف بين المؤيد والمنكر لها؛ علماً أن الحديث عن المؤامرة إثباتاً أو نفياً يعد مؤامرة في حد ذاته، ولن يُرضي البائع أو الشاري من المنكرين والمؤيدين... وبناء عليه نرى أن مرتكب الخطيئة أو الجريمة تنطبق عليه المقولة الرائجة (يكاد المريب أن يقول: خذوني). فالمؤامرة ـ مصطلحاً, وحقيقة ـ ليست صناعة محلية أو عربية؛ وليست طارئة على حياتنا وواقعنا؛ فهي موجودة في كل زمان ومكان ينفذها طرف ما ضد مصالح طرف آخر بشكل سري؛ أو تنفذها مجموعة أطراف ضد ذلك الطرف لأغراض شتى سياسية واقتصادية وثقافية، ولا بد لها من توافر شروطها الموضوعية... ولهذا كله تلح على ذاكرتنا أسئلة بريئة نطرحها على الجميع؛ ومنها:...

السؤال الأول: هو سؤال طويل ومتشعب يتركز في طلب الحرية ... فقد رفع الحراك العربي في تونس ومصر واليمن وليبيا شعار الحرية؛ حرية... حرية... ونادى بالديمقراطية... ورأى أن هذا المبدأ وذاك الشعار لا يمكن أن يتحققا إلا بإسقاط أنظمة الحكم... ولا مراء لدينا في أن الحرية تعد الهدف الأسمى للإنسان في كل زمان ومكان؛ ووسيلته إشاعة مزيد من الديمقراطية الوطنية المنضبطة بقانون يقوم على التنوع والتعددية ويوفر الكرامة للجميع... ولكننا نسأل: هل الحرية موجودة في البلدان الأخرى الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية والدوائر الغربية والصهيونية، على حين أنها معدومة في البلدان التي ظهرت فيها الاحتجاجات وغيرها؟. وأي الدول العربية أقرب إلى الحرية وتطبيق نظام الديمقراطية سورية ومصر ـ مثلاً ـ أم قطر والسعودية والبحرين؟!... ثم هل الحرية والديمقراطية تتحقق بالانقضاض على كل مفاهيم العروبة والتضامن العربي وإزالتها من الواقع العربي وكانت تلك الدوائر قد نجحت في إقناع كثير من الناس بأن كل من يتحدث بهذه المفاهيم إنما يتحدث بلغة خشبية؟!!.

ومن ثم ألا يمكننا أن نصل إلى الحرية عن طريق الحوار الجاد والصادق من دون أن يقتل بعضنا بعضاً؛ ومن دون أن نقوم بعمليات الحرق والتدمير والفوضى، وتخريب النسيج الخلاق للوحدة الوطنية بإثارة النعرات الطائفية والمذهبية...؟!!.

ثم من قال: إن الحرية حرية مطلقة في كل زمان ومكان...؟!! أليست هي حرية نسبية تلبي حاجة المجتمعات على تعددها وتنوعها؟!.

السؤال الثاني: لماذا هذه الحرب الواضحة المعالم على الدولة السورية؛؟! فأمريكا وأوربا وتركيا ودول عربية عدة تشن حملة ضارية عليها لا يستثنى من تلك الحرب إلا دول (بريكس) وعلى رأسها (روسيا والصين) التي أدركت لعبة الإدارة الأمريكية والغربية في السيطرة على قلب العالم وتقسيم موارده، وإدارتها بعيداً عنهما.

السؤال الثالث: لماذا يقع الإرهاب في بلدان دون بلدان، وحينما يحدث ذلك يكون الاحتلال الأمريكي محققاً؟.

السؤال الرابع: إذا كان مركز القاعدة في أفغانستان وباكستان فلماذا ينتقل مركزها إلى أمكنة أخرى؟ وهل يخدم هذا الانتقال المصالح الأمريكية أم لا؟.

السؤال الخامس: لم يعد أحد يجهل ذلك التماهي في النشأة والغايات والوظائف بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وكل منهما قام على الدم والقتل والاغتصاب وانتهاك كل المبادئ والقيم الإنسانية، ولهذا نتساءل: لماذا تتقاطع التصريحات الأمريكية ومواقفها مع ما يصدر عن دولة الكيان وأوروبا من جهة وقطر والسعودية وتركيا من جهة ثانية ومجلس استانبول من جهة ثالثة.؟! ومن منا ينسى التوغل الأمريكي الصهيوني في تلك الدول الثلاث؟. ثم كيف يمكننا أن ننسى التناغم العجيب في السياسات والاستراتيجيات القائمة بين هذه الدول وسياسة الإدارة الأمريكية؟!! ولعل هذا يدفعنا إلى سؤال آخر يتعلق بمجلس استانبول الذي أعلن تأسيسه في (استانبول2011/10/2م) برعاية تركية، باسم (المجلس الوطني السوري)، وزعم تمثيل الشعب السوري، على حين لا علاقة له بالثقافة السورية؛ ما الذي يكمن وراء العلاقات الخفية بين أعضاء منه والكيان الصهيوني مثل بسمة قضماني، ولها رسائل إلكترونية مع الكيان في 2011/10/14م؟. وكذلك ذكرت جريدة الأخبار اللبنانية عن موقع (ويكليكس) ما يفيد باتصالات عدة في هذا الشأن، فضلاً عن تبادل رسائل الكترونية مع رئيس مجلس استانبول بتاريخ (2011/3/16م) و (3/11).

تلك هي أسئلتنا البريئة؛ فهل من إجابة لديك أخي القارئ؟!!!.

البلدان العربية وضرورات إنجاز مهام التشكل الدولتي

محمد الزبيدي

لتحقيق دولة الرفاه الاجتماعي، نرى أنه لا بد من إنجاز مهام التشكل الدولتي.

إن هذه المسألة بما لها من أهمية كبرى، تتطلب نقاشات واسعة، تحيط بها من أجل توضيح معالم التطور اللاحق لشعوبنا. وأبرز الأسئلة المطروحة بهذا الخصوص هي مسألة الطريق المؤدية إلى تكوّن الدولة؛ هذا التكوّن الذي حُسم منذ فترة طويلة في بلدان مثل أوربا الغربية؛ حيث استطاعت الثورة البرجوازية التي كانت صناعية في أساسها في القرن الثامن عشر أن تضع اللبنات الأولى في تكوّن الدولة، وأهم هذه اللبنات:

1ـ فصل الدين عن الدولة.

2ـ تبادل السلطة.

3ـ نسف العلاقات الإقطاعية بصورة جذرية.

4ـ القضاء على أنظمة الحكم المطلق (ضرب الأسس الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي الفكرية التي يمكن أن تكون أساساً للأنظمة المطلقة).

5ـ البدء بخلق مؤسسات تشكل أساساً لهذه العملية المتطورة.

6ـ فصل السلطات، التنفيذية والتشريعية والقضائية، عن بعضها البعض.

طبعاً، لم يكن هذا الأمر باليسير؛ فتحقيق كل ذلك كان يجري على أرضية الصراعات الشديدة والمحتدمة بين الماضي الذي كان يموت ولكنه لم يرغب بالتسليم وبين المستقبل النامي الذي كان يرسم معالمه ليتقدم بصورة تدريجية. بيد أن الأمر كان أكثر تعقيداً من ذلك، لأن النظام الرأسمالي الذي انتصر وصعد على أنقاض الإقطاعية كان يحمل أيضاً في طياته تناقضات أخرى جوهرها: التناقض بين العمل والرأسمال. وقد وُجد في الطبقة البرجوازية قوى أرادت أن تجعل باستمرار من استغلالها للطبقة العاملة أمراً مطلقاً؛ أي أن لا تخضع لأي ضوابط. وكانت هذه القوى، التي كانت ثورية في ظرف تاريخي محدد، تعمل لإيقاف عملية التطور، أو بالأحرى إيقاف عملية تكوّن الدولة بواسطة مؤسساتها العريضة (الفاشية والنازية).

باختصار: إن عملية التشكل الدولتي في أوربا لم تكن سهلة لقد كانت هناك تناقضات كبيرة تعيق تطورها، أبرزها:

1ـ التناقضات بين العلاقات القديمة والعلاقات الناشئة.

2ـ التناقضات في قلب العلاقات الناشئة بين طبقة الرأسمال وطبقة الكادحين من جهة، وبين طبقات المُستثمرين أنفسهم من جهة ثانية.

بيد أن عملية التطور التقدمي التي كانت تجري كانت تحتِّم انتصار التكون الدولتي وقد انتصرت بالفعل؛ وأبرز ملامح هذا الانتصار كان نشوء الجانب المؤسساتي الذي لم يكن ظاهرة مؤقتة، كما أنه لم يكن مرتبطاً بالنظام الذي إن تغير يتغير معه؛ بل العكس، عندما يتغير النظام، تبقى المؤسسات، وقد تأخذ مدى متطوراً أكثر من السابق. مثلاً:

ـ المؤسسات التعليمية، فهي ليست مرتبطة بالنظام؛ إذ يمكن أن يذهب هذا النظام وتبقى هذه المؤسسات وتتطور.

ـ المجلس التشريعي(البرلمان)، أيضاً، يمكن أن يذهب النظام وتبقى المؤسسة التشريعية وتتطور. ـ الجيش، هذا الذي كان في السابق قوة قمعية، فمع التطور الحضاري وتطور الوعي الاجتماعي في تلك البلدان لم يعد من الممكن استخدامه اليوم كما كان يستخدم في السابق، لقمع الحركات الشعبية في تلك البلدان؛ إذ لا بد من أن يشمل تطور الوعي الاجتماعي هذا الجيش بحيث يصبح جزءاً منه ولا ينفصل عنه، وذلك في ظل القوانين الاجتماعية المدنية الجديدة التي أصبحت هي التي تحكم في تلك البلدان، بعدما تم فصل الأفكار الدينية عن الدولة.

إن ماركس، من دون شك كان محقاً عندما تكلم عن الدولة مستشهداً بتجربة الماضي البشري؛ حيث لم تكن الدولة آنذاك منفصلة عن السلطة، كانت سلطة مطلقة واندغمت الدولة فيها. بيد أن التطور المجتمعي الذي جرى لاحقاً أخذ يُظهر أكثر فأكثر بداية انفصال الدولة عن السلطة. عندما نتكلم عن السلطة أنها طبقية نكون محقين بذلك، وعندما نتكلم عن أن السلطة تحاول استغلال الدولة لمصالحها الطبقية، أيضاً نكون محقين، بيد أن التطور المجتمعي يؤدي إلى انفصال أكبر فأكبر بين الدولة والسلطة، وقد تذهب سلطة وتأتي سلطة أخرى، غير أن الدولة تبقى كمؤسسات وكبنى، ويتعزز هذا الاستقلال أكثر فأكثر مع التطور المجتمعي.

نعود إلى ما بدأناه حول التكون الدولتي في مجتمعاتنا ونقول: إنه لن يكون يسيراً، ولا بد من تحقيق شروطه الأولى التي يمكن تلخيص أبرزها بما يلي:

1ـ انجاز مهام الثورة البرجوازية؛ أي، تصفية البنى ما قبل الرأسمالية سواء منها العلاقات الاقتصادية ذات الطابع الأسري، أو العلاقات العشائرية والقبلية والطائفية والمذهبية والعرقية والمناطقية.... وغير ذلك.

2ـ العمل على إحداث تطور بنيوي في تلك المجتمعات، ثم سن قوانين ذات طابع مدني تؤدي إلى فصل الدين عن الدولة بِعدّ الدين شأناً فردياً، حيث لكل إنسان اعتقاده. إن الدولة تخص كل الأفراد، بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية أو العرقية أو الطائفية أو المذهبية..وغير ذلك؛ أي، المواطنة. ثم التأسيس لاحقاً على ذلك ببناء المؤسسات المنفصلة عن الحاكم، ولا ترتبط بمزاجه؛ ذلك هو الاتجاه الذي يؤدي إلى التشكل الدولتي في تلك البلدان وهو أيضاً، عملية شاقة. ولكن يمكن للقوى المجتمعية التقدمية في هذه البلدان، أن تستفيد من تجارب الشعوب التي سبقتها بالتطور، بهدف اختصار المسافة، بشرط أن لا تخضع هذه المسألة للمصالح السلطوية الأنانية الضيقة، التي تشكل الآن عائقاً كبيراً أمام التشكل الدولتي هذا.

إن طريق التطور العالمي يسير في هذا الاتجاه، رغم أن هذا الأمر لن يكون سهلاً على كثير من الشعوب، وربما ستكون هناك انكسارات وتراجعات عن هذا الطريق؛ بيد أن المحصلة ستكون إلى الأمام، وسوف يكون إنجاز مهام التشكل الدولتي هو الطريق الضرورية لتحقيق الرفاه الاجتماعي وفسح المجال لتطور رحب للشعوب.

عزف منفرد على أوتار الزمن لنظمية أكراد

هي قصص من الخيال العلمي للدكتورة نظمية أكراد وتحت عنوان «عزف منفرد على أوتار الزمن» بإصدار خاص والناشر دار الحارث، ومن عناوين المجموعة: عندما يتوهج الحب ـ القصر المتحرك ـ لم تبق ولم تذر، تقاطع الرؤى للحلم العشوائي، الوجه الآخر للبيت الرائع ـ عزف منفرد على أوتار الزمن ـ النهاية الحالمة.

وبهذه المجموعة تضيف الأديبة أكراد لمجموعاتها السابقة جديداً وهي:

ـ الأفعى والراعي ـ الحصان الأزرق ـ النمر الشجاع.

ـ عيد الربيع ـ هل تعرفون أختي عليا.

ـ زهرة الثلج البيضاء، نقش على صفحة العمر.

ـ صغير ولكن لا يلعب، وهناك كتب أخرى لها تحت الطبع منها دراسات حول أدب الطفال في سورية.

المجموعة في 156 صفحة من القطع المتوسط.

بين (رائدة النبع) و(المتمردة الذهبية) اكتمل بدر قمر كيلاني

سوزان ابراهيم

لأن قانون منع تجول الأقلام والأفكار النسائية كان مفروضاً على مجتمع الخمسينيات, كان لابد لقمر طالبة كلية الآداب- قسم اللغة العربية أن تعبر عن جرأة أفكارها في "مجلة الجامعة" باسم مستعار هو «رائدة النبع»، ذلك الاسم الذي ما لبث زملاؤها وزميلاتها في الجامعة أن عرفوا صاحبته، ولم يعد خافياً على أحد أن من كانوا يلقبونها ب"المتمردة الذهبية" هي ذاتها «رائدة النبع».

ذات يوم قال لها الدّكتور أمجد طرابلسي في المعهد العالي للمعلمين وقد بدأت كتاباتها تنضج: "نحن لا نريد أدباء، ولكننا نريد مدرسين للغة العربية. بعد مرور سنوات ما كان من قمر كيلاني الكاتبة إلا أن تهدي أستاذها أوراقاً بعنوان: "أوراق من دفتر التدريس"- نُشِرت مسلسلة في مجلة صوت المعلمين- وكتبت في إهدائها: إلى أستاذي وصديقي فيما بعد الذي قال لي نحن لا نريد أدباء بل مدرسين! في (بستان الكرز) العربي بسقت شجرتها, لم تكن أبداً (امرأة من خزف) بل امرأة من حرير الفولاذ.. لم تستكن لموروثات مقدسة ظلت تقيد تحليق المرأة الشرقية, فخرجت من (الدوامة) إلى (عالم بلا حدود), ونثرت عمرها ك(أوراق مسافرة). لم يغرها ترف (الهودج) فطارت في فضاءات أوسع ك(طائر النار) الذي ينشر الضوء, وأقرت في (اعترافات امرأة صغيرة) بأن القيد والفوبيا التي ينتجها تكون فينا, لذا كان لابد من (حلم على جدران السجن) ولأنه (حب وحرب) ما يقود ثنائية الكون المتأرجحة بين الخير والشر كان (الصيادون ولعبة الموت) تحديها الأكبر، لتنبّه إلى أن الإنسان الحر القادر على نزع فتيل الضعف وتفجير وهن المرض هو المأمول لانتزاع شمس الشرق من قعر غيوم سوداء تمنع سطوعها.

فماذا كانت أولويات قمر كيلاني إذاً بين كل هذه المعارج؟

إنها دمشق ياسمينة الشرق؛ فسورية مهد حضارته؛ فالوطن العربي قلب العالم القديم النابض أبداً بقيم الحق والخير والجمال.

الشقراء ابنة البرجوازية المحافظة لم تكن طامعة كبنات جيلها ببيت وزوج وأولاد, كأولوية لحياة ستعيشها, ومنذ البداية راحت تحفر بأصابعها الصغيرة طريقها الصعب لكن بعناد قليل الضجة كثير العطاء. لم تشأ التمرد هدفاً؛ بل إرادة تغيير في مصير نساء الخمسينيات, فانتزعت شهادة جامعية من قلب التقاليد التي لا ترى في تعليم المرأة ضرورة.

انطلقت من دمشق- حنينها الأبدي- وحلقت أعلى مما راهن عليه مجتمع الشرق المحافظ, ما اضطره للاعتراف وبفخر بأن للنساء- كقمر- يداً صلبة تعيد كتابة التاريخ النسائي, وتخرجه من مخادع الدعة والتكاسل إلى شموس الحرية الأرحب. ربما لأنها كانت تؤمن أن "التحرر لا يعني الانفلاش دون ضوابط، وأن الحرية يجب أن تكون ملتزمة بالضوابط الأخلاقية والفكرية والوطنية"، وربما لأنها آمنت بأن "الأديب يجب أن يكون مؤدباً".

عاشقة الحرية, التي تؤمن بيقين أكيد أن الحرية لا تتجزأ, حوّلت قلمها إلى بندقية، كان صوت الحرف فيها أعلى من مانشيتات التصريحات والبيانات الخطابية التي احترفها كثير من العرب, فتواشج في أعمالها الفردي الذاتي بالجمعي؛ لأنها آمنت دوماً بالإنسان العربي.

وعاشق الحرية لا يمكن في النهاية إلا أن يكون باحثاً عن الحب أولاً كجسر أجمل بين الرجل والمرأة، يردم الهوة في علاقة طالما اغتصب السائد الاجتماعي أجمل ما فيها، وتالياً كجسر أجمل بين البشر ليشمل الروح الإنسانية ذاتها للإنسان عبر الاحتفاء بالانتماء إلى الأرض والإنسان والوطن.

كانت مساحة قلبها أكبر من أن تؤثثه بحب وطنها الصغير فقط, فاتسع حلم قمر بوطن أكبر يجمعه الشعور العربي، والقيم النبيلة, ومن قلب البيئة السورية خلقت بيئة عربية، فكتبت «بستان الكرز» التي تجري أحداثها في لبنان، وقبل ذلك البستان كانت روايتها «أيام مغربية» التي تجري في المغرب لكن بشخصيات سورية. كما اهتمت بالقضية الفلسطينية الجرح العربي النازف أبداً فكتبت «قبلة على أرض غريبة»، و«ناتالي وأشجار البرتقال» وغيرهما، ما جعل زملاءها الفلسطينيين يؤكدون أن "اسمها" كان المفتاح لبدء العمل أثناء انطلاقة العمل الفدائي وكانت كلمة السر التي أطلقوها لذلك البدء: "انتظروا ظهور القمر». وعدّت روايتها «الدوامة»، من بين أفضل مئة رواية عربية، وكان المحرّض لها نكسة حزيران، وظهور العمل الفدائي واحتدام معركة الكرامة.

هل تكتمل حريتنا الشخصية، وثمة بعض من أرض الوطن مايزال أسيراً مقيداً؟

مع هبوب نسائم نصر حرب تشرين كتبت روايتها «حب وحرب»، التي نشرت مسلسلة في صحيفة تشرين عام 1980.. لتحتفل بطريقتها بنصر انتظرته كما كل السوريين والعرب. قمر كيلاني الواحدة المتعددة تخرج من باب الأدب لتدخل باب البحث, ثم تتركه مؤقتاً لتطرق باب الصحافة والإعلام, فتحجز لقلمها وفكرها محطة دائمة أضافت إلى رصيدها الأدبي والإنساني غنى وقرباً من الجمهور- كان عنوان زاويتها في صحيفة «الثورة» هو «مفكرة الأيام» ثم «معاً على الطريق» التي ظلت تكتب فيها حتى يوم رحيلها-. أن تكون كاتباً يعني أن تكون مواطناً يدرك كمَّ المسؤولية التي تقع عليه, وهذا تماماً ما أدركته قمر كيلاني منذ البدايات, فارتبطت بهموم الإنسان والوطن, ناضلت على أكثر من صعيد, وكانت عضواً مؤسساً لكثير من الروابط والاتحادات. حين دهمها ألم التجربة المريرة للانفصال في 28 أيلول 1961، أنشأت مع نخبة من الكتاب والمثقفين والنقاد مجلة « ليلى» دون أن تتقاضى ثمناً لأي كلمة كتبتها فيها. فوظيفة الأدب، كما تراها قمر كيلاني, ليست التهرّب من الواقع، بل رؤية الممكن في الواقع.

قمر كيلاني أيتها الشقراء الذهبية المتمردة ورائدة النبع.. سنبقى معاً على الطريق.. فقد كان ممكنك كثيراً جداً.....

العولمة والفن المعاصر

مايكل كرونين
ترجمة محمد ابراهيم العبدالله

يؤكد نقاد العولمة بأن تنامي التجارة العالمية زاد من الازدهار المادي للبشرية، لكن التكلفة الثقافية والروحية كانت عالية، وهذا ينسحب على مختلف الثقافات العالمية، وهذا التنامي يهدد أيضاً بتحوّل العالم إلى مركز تسوق كبير ورخيص جداً.

أحد أصحاب الرأي في هذا الموضوع الدكتور تيلر كاون الأستاذ في جامعة جورج ماسون الاقتصادية الذي يسأل «كيف تُغيّر العولمة ثقافات العالم؟»

يقول الأستاذ كاون «الفكرة الرئيسة لمعظم كتبي التي أصدرتها مؤخراً هي أن الأسواق تدعم التنوع وحرية الاختيار، وأن التجارة تقدّم للفنانين والأدباء فرصة كبيرة للتعبير عن طموحاتهم الإبداعية. فالشروط المسبقة لأي إبداع فني ناجح، تنزع إلى أن تكون شيئاً يشبه الأسواق والسلع المادية والأفكار والإلهام. فعندما يكون هناك تبايع بين ثقافتين، فإنهما تنزعان لتوسيع الفرص المتوفرة للفنانين. كتاب«التدمير الخلاّق» «لتيلر كاون يشرح لنا منطق ما يسمى«الأرباح من النموذج التجاري»، ويقدّم مجموعة من الأمثلة. فقد رجع المؤلف إلى التاريخ وأورد أمثلة من الدول الفقيرة أو دول العالم الثالث التي تميزت بإبداعاتها الفنية، ولعبت التجارة دوراً بارزاً في ثورتها الفنية. لو نظرنا إلى الموسيقا العالمية مثلاً، نجد بأنها ازدهرت في ظل حركة السياحة لهذه البلدان، حيث كانت تستقبل السائحين الأمريكان الذين أمضوا الليالي في النوادي الليلية في خمسينيات القرن الماضي. كما ازدهرت صناعة السجاد الفارسي في القرن التاسع عشر لتصديره إلى دول أوروبا التي كانت تصدره بدورها إلى أمريكا الشمالية. انفتاح الأدب العالمي - بدءاً من نجيب محفوظ وصولاً إلى ماركيز- وتنامي مخازن الكتب وانتشار المطابع وظهور السينما، هي جميعها حالات جعلت منها التجارة بلداناً مختلفة، ومناطق أكثر إبداعية، ومنحتها مزيداً من التنوع. فالبلدان تبدو متشابهة لكنها تبدو كذلك في إحساس الحالة؛ فهناك بعض الشعوب الأفريقية قدمت لنا ولا تزال تقدم موسيقا رائعة، لكن لا تملك سوى نوع واحد من الموسيقا، أما المجتمعات الأكثر ثراء وذات الأسواق الكثيرة نجد فيها مزيداً من التنوع، وأنواعاً منافسة كثيرة من الموسيقا.

إذاً تنزع العولمة إلى فعل المزيد من التنوع، لكن هذا التنوع يتحرر من الجغرافيا. فقد اعتدنا على نماذج أو أنماط معينة من الاختلاف. فالشعوب المختلفة هي شعوب مختلفة أساساً وتعيش في مناطق مختلفة أيضاً، وهكذا فالتيبت مثلاً تبدو مختلفة عن المكسيك أو مختلفة عن إنديانا ونحن نميّز هذا الاختلاف بسرعة من خلال الموقع، لكن يبقى هذا نوع واحد من الاختلاف، فالنوع الآخر يظهر في الأساليب التي نختارها في طريقة حياتنا، وأعتقد بأن الأفراد يرغبون دائماً في اختيار أساليب مختلفة في حياتهم. وقد تستمر هذا الحالة لأكثر من 3000 سنة قادمة، لكن عولمة العالم بما فيه الكفاية بحيث يتعذر على المكسيك والتيبت والولايات المتحدة تميّزها الجغرافي، سيجعل تخطي الحدود أقل صدمة مما يبدو الآن. لكن أعتقد بأننا سنظل نبحث عن أنواع أخرى من الاختلاف المتحرر جغرافياً، وهي اختلافات بين الأفراد، وهؤلاء الأفراد سيكونون أكثر حيوية من الأفراد اليوم. يقول بنيامين باربر: إحدى مشاكل العولمة والاقتراض الثقافي والمحاكاة الثقافية هي أنها لا تعتمد على الثقافات المعزولة؛ بل على الثقافات الأصيلة. فالثقافة الأصيلة هي منتج ثقافي لتفاعلات ثقافية مبكرة بحد ذاتها، وليست مادة جامدة كما يشير بعض النقاد، ونعرف جميعاً الفارق بين الحصول على نسيج الكرنب من ديجون وبين الحصول عليه من نيويورك ومن منطقة تسمى لي هولز. ومع أننا يمكن أن نحصل على شيء مشابه للمنتج الأصلي، إلا أن الفوارق بين الاثنين تبقى واضحة. وحينما نرجع إلى الولايات المتحدة ونأخذ التجربة التاندورية في أرلنغتون، نجد أنها تختلف عن تلك التي نأخذها من بومباي، لكنها تبقى جزءاً من هذه التجربة.

بلاغة لغة الغموض في التعبير الأدبي

عبد الباقي يوسف

نقع في التراث الأدبي الإنساني من مختلف العصور والبقاع الجغرافية على الجنوح شطر الغموض في التعبير الأدبي، وهو جنوح يحمل دلالات متعددة القراءات؛ بحيث يأتي هذا الجنوح أحيانًا من أئمة الحكمة والنبوغ.

كان اللجوء إلى ظاهرة الغموض في العالم حالة يحاول من خلالها الأدباء التعبير عن المآسي التي تصيب العالم بصفة عامة، أو تصيبهم بصفة خاصة.

كما شهد التراث الأدبي العربي ألوانًا مختلفة من الغموض كمحاولة للتعبير عن حالات إنسانية، وهي ظاهرة تستحق الوقوف معها ودراستها؛ حيث يمسي الغموض لغة دلالية تتمتع بخصائصها البلاغية والتعبيرية والفكرية.

من أئمة الغموض في العالم

الكتابة وسيلة من وسائل التغيير والتعبير، وأحيانًا يعد الكاتب نفسه مسؤولا عن عضة كلب هنا، ولسعة دبور هناك، حادث سير هنا، شجار هناك.

المركيز دي ساد، ولاسوينر، وجاك ريفو، وسويفت، ورينيه كريفل كانوا ملتزمين مثل: غوركي، وهوغو، وأدلر، وتيرمان.

ساد كان ملتزمًا بالنزعة السادية، وريغو بالسوريالية، وكافكا بالغموض الفنتازي، وكامو بالحرية والتمرد، وبيكيت بالعبث. بالمقابل كان هوغو ملتزمًا بالنزعة الرومانسية التي يتمتع بها الإنسان، ويدعو إلى الإصلاح والتسامح متمثلاً بقول المسيح/ أحسنوا إلى مبغضيكم/. أما فرويد فلا يرضى بفلسفة ماركس المادية، ويؤمن بالقوة الخفية اللامرئية /اللاشعور اللامادي/ التي تسيّر الإنسان.

هؤلاء جميعًا التزموا بمبادئهم، ودافعوا عن مكتشفاتهم الهامة والقيمة حتى الساعات الأخيرة من وفاتهم، وقد خلدت لأنها في النهاية كانت تهدف إلى تقديم خدمات جليلة للإنسان بصورة عامة، وتسعى إلى التخفيف عن المآسي التي تواجهه.

جاء الغموض إلى الأدب العالمي من خلال الحروب والكوارث التي أصابت الناس، وكذلك من خلال المآسي والأهوال الفردية الشخصية التي واجهت الأدباء الذين تعرضوا لأشكال المعاناة سواء أكانت نفسية، أو جسدية.

يقول المركيز دي ساد معبرًا عن قوة تشاؤمه وسوداويته: / إنني أمقت الطبيعة، أود لو أفسد عليها مخططاتها، لو أعاكس سيرها، لو أوقف دوران الكوكب، لو أنشر البلبلة في الأفلاك السابحة في الفضاء، لو أحطم ما يفيدها، وأحمي ما يؤذيها، وبكلمة موجزة أتمنى أن أهينها في أعمالها، ولكنني لا أستطيع النجاح في هذه المهمة/.

وفي هذا التشاؤم يرى صاموئيل بيكيت:/يولد الإنسان من ظلام الرحم، إلى ظلام القبر مارًا بظلام الحياة/.

وكان فرانز كافكا يقول:/كل شيء وهم، الأسرة، المكتب، الشارع، الأصدقاء، بعيدين كانوا، أم قريبين. الحقيقة التي هي أقرب من أي شيء هي فقط أنك تضرب رأسك بجدار زنزانة لا نافذة فيها، ولا باب/.

ولذلك يلجأ كافكا إلى الكتابة كي تخفف عنه وطأة هذه المعاناة. فيقول: /أريد اليوم أن أنزع عن نفسي بالكتابة كل حالة القلق، فأنقلها من أعماقي إلى أعماق الورق. أنا أكتب بالرغم من كل شيء، وبأي ثمن، فالكتابة كفاحي من أجل البقاء /.

وتحضرني من أندريه بريتون الحادثة التالية:/لا يزال لويس آراغون يذكر معي مرور صبي جاء يبيع زهورًا في مقهى كنا فيه ذات مساء برفقة شريكو. يولي ظهره للباب، فلم يبصر الصبي داخلاً، وكان علي أن أسأل آراغون، وقد أخذته مشيئة الوافد إن لم يكن شبحًا، فأخرج شريكو دون أن يلتفت إلى الباب مرآة صغيرة من جيبه، وأجابا بعد تفرس في وجه الصبي الصغير: إنه شبح بالتأكيد/.

إنها المعاناة التي تدفع إلى التعبير عن هولها من خلال اللجوء إلى الغموض، وهنا علينا ألا ننسى تلك المعاناة الشديدة، وتلك الأهوال التي وقفت خلف كل تلك الإبداعات الأدبية الكبرى التي تقدمت للبشرية.

أبولينير كان يعاني طوال حياته من عقدة أنه ابن غير شرعي، حتى أنه كان يرغب في أن يخرج عن جلده، كما لم يسبق لرامبو أن تلقى قبلة حنان واحدة من فم أمه، فاضطر إلى كل تلك الأسفار بحثًا عن قبلة تعوضه عن تلك القبلة، وكان ذلك خلف بعض سلوكياته الانحرافية، وشوبنهور الذي لاقى الأهوال على يدي عشيق أمه، دفعه ذلك لأخذ ذاك الموقف السوداوي من المرأة، ومن الحياة بصفة عامة، فأبدع كل ذاك التعبير عن فلسفة التشاؤم. وأمضى المركيز دي ساد خمسًا وعشرين سنة في السجن، مما أدى على إبداعه لنزعة السادية، وانتهى نيتشه بالجنون، وسويفت بالوهن العقلي، بينما فقد أبو لينير القدرة على الكلام.

أما دستويفسكي فكان يقول: /لدي مشروع، أن أفقد عقلي/، ويسطّر إلى أخيه قائلاً: /وما تبقى لي سوى هذا القلم، والدم واللحم، هذا الذي يعاني ويشفق ويتذكر، ويبدع الحياة رغم كل شيء، لم اشعر مطلقًا بهذه الخواص الملأى بالقوى، والغنى الفكري من قبل كما أشعر بها الآن/.

وبلغت المعاناة بأدغار آلن بو مرحلة لم يعد فيها قادرًا على المشي في الشارع، وانعزل كلايست عن العالم والأهل قائلاً: / لقد أصاب الجرح روحي حتى لأكاد أقول حين أخرج أنفي من النافذة، يؤلمني ضوء النهار الذي يلتمع في وجهي/.

الغموض الساخر في التراث العربي

هناك لون آخر من ألوان الغموض، وهو الميل إلى السخرية من خلال أحاديث مبهمة، ونقع في التراث العربي على ألوان متعددة من وسائل التعبير عن طريق اللجوء إلى الغموض، للتعبير عما يجيش في الصدر، ولا يقدر الكاتب التعبير الواضح عنه، فيميل إلى الإبهام، والغموض معبرًا عن تلك الحالة. وهذا ما قام به أبو العبر الهاشمي*.

ومن المفيد هنا ذكر حادثة يرويها أبو العبر بنفسه، يمكننا من خلالها التعرف إلى شيء من هذا النزوع لديه. يقول: كنا نختلف ونحن أحداث إلى رجل يعلمنا الهزل، فكان يقول: أول ما تريدون رفع و الأشياء وقلبها. فكنا نقول: إذا أصبح، كيف أمسيت، وإذا أمسى، كيف أصبحت؟

وإذا قال: تعال. نتأخر إلى الخلف. وكانت له أرزاق تعمل كتابتها في كل سنة، فعمل مرة وأنا معه الكتاب، فلما فرغ من التوقيع، وبقي الختم، قال: أتربه. وجئتني به، فصببت عليه الماء، فبطل فقال: ويحك لا تصحبني، فأنت أستاذ الأستاذين.

يتجول أبو العبر في الناس وينشر أفكاره فيهم عن قرب، حتى غدا شخصية شعبية شبيهة بالمهرج الذي يبطن المعاني العميقة خلف عباراته الساخرة الهزلية.

قال له شخص ذات مرة: يا أبا العبر لِم صار دجلة أعرض من الفرات، والقطن أبيض من الكمأة؟ فقال: لأن الشاة ليس لها منقار، وذنب الطاووس أربعة أشبار.

ومن مواقفه الغامضة الطريفة أنه يجيب على سؤال لرجل قال له: يا أبا العبر لِم صار العطار يبيع اللبد، وصاحب السقط يبيع اللبن؟ فأجابه: لأن المطر يجيء في الشتاء، والمنخل لا يقوم به الماء.

وقال له شخص: لِم صار كل خصي أمرد، والماء في حزيران لا يبرد؟ فقال: لأن السفينة تجنح، والحمار يرمح.

يتحدث أبو العبر عن بعض وقائع حياته الشخصية، وكذلك التي وقعت مع المقربين له.

ومن ذلك روايته: خرج أخي الصغير إلى أحمد بن أبي داود، فشكا إليه خلة، فأمر له بألفي درهم، فمضى أبي بعده، فشكا مثل ذلك، فلم يعطه شيئًا، وعرفت سر من رأى فعرفني أبي خبره، فقلت له: قف معي عند باب ابن ابي داود، وكل الكلام إلي، فوقف معي وقال: شأنك.

فلما خرج قلت: أصلح الله القاضي. هذا محمد بن عبد الله بن عبد الصمد الهاشمي، يسأل القاضي أن يلحقه بالأصاغر من ولده. فضحك، ولعنني أبي، وانصرف، فوجه إليه ابن داود بثلاثة آلاف درهم، فقلت له: اعطني منها ألفًا، فو الله لولا ما لفتني إليه، ما أخذت شيئًا.

الغموض في شعر المتنبي

الغموض ظاهرة عامة لدى الإنسان، وفي شتى وقائع حياته، فأحيانًا يستعين بالغموض لتجنب الإحراج، وفي مواضع معينة قد يجنح إلى الغموض عندما يدرك أن الوضوح أمسى بلا جدوى.

يمكن عدّ الغموض في بعض المواضع حالة نفسية تعبر بصدق لا شعوري وغير مباشر عن غموض الحدث، أو غموض المواقف المتمثلة في الحال، فيقابل الغموض بالغموض.

في التراث العربي وقف الأدب عند هذه الظاهرة، والملفت للنظر أن شاعرًا بحكمة المتنبي وحجمه تعرض للغموض في شعره، ولعله تعرض إلى مواقف متناقضة وغامضة، أدت به إلى مواجهتها بالغموض، وهو الحكيم القائل:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوًا له ما من صداقته بد

المتنبي من مواليد الكوفة سنة 303 هجرية، ومن شعراء العصر العباسي الثالث، وهو: أحمد بن الحسين الجعفي، كُني بأبي الطيب وذاع صيته بلقب المتنبي، ومن حسن حظه أنه وجد سبيلاً على سيف الدولة الذي جاد عليه بالمال والتقدير، والمنزلة الاجتماعية، فعاش المتنبي مرفهًا عزيزًا بصحبة من يقدر عبقريته، ويكن لها بالغ الاحترام.

رغم تلك العلاقة المتينة، فقد استطاع البعض أن يتدخل بينه وبين سيف الدولة لإفساد روح العلاقة بينهما، فيدسون الدسائس، وبالفعل يستاء منه سيف لدولة، لكنه سرعان ما يعفو عنه.

بين الحكمة والغموض

يتسم شعر المتنبي بصورة عامة بروح الحكمة، حتى أن الكثير من أبياته الشعرية تحولت إلى حكم وأمثال يتداولها الناس من دون أن يعرفوا قائلها، ومن ذلك على سبيل المثال:

« على قدر أهل العزم تأتي العزائم»

« الرأي قبل شجاعة الشجعان»

ومن قصائده:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولامال في الدنيا لمن قل مجده
مَن يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام
انعم ولذ فللأمور أواخر
أبداً كما كانت لهن أوائل
وإن أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل
إذا اعتاد الفتى خوض المنايا
فأضعف ما يمر به الوحول
بذا قضت الأيام مابين أهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

بعد هذه الحكمة، يميل الشاعر إلى غموض ليس من اليسر فك طلاسمه، ومن ذلك قوله:

وإن بعيد معي مبغض
لفر حلو ممر لين شرس

وكذلك قوله:

ند أي غرراف أخي ثقة
جعد سري نه ندر رض ندس

وله أبيات شديدة الغموض لم يعرف أحد في أي مناسبة كتبها يقول فيها:

غش ابق اسم جد سد قد مر أنه أمرته تسل

وكذلك نقع على قوله: غظ ارم صب لهم لغز لس رع زع مل من تل

وفي موضع آخر:

قل إنك اقطع لحمل عسل سل لعد
زد هش بش تفضل ادن سر صل

الحازم اليقظ الأغر العالم م
الفطن الألد الأريحي الأروعا

الكاتب اللبق الخطيب الواهب م
الندس اللبيب الهزري المصقعا

البقية ص٢٢

القصة...

تأليف عبد الفتاح كيليطو

ترجمة عن الايطالية معاوية العبد المجيد

لا يختلف الموروث السردي في الثقافة العربية عن غابةٍ كثيفة الأغصان شائكة السبل، لكثرة ما يحتويه من أنماط أدبية متشابكة فيما بينها ولما تكتسبه من مفاهيم معقدة لا تتضّح معالمها بسهولة. فلنرضَ في بادىء الأمر بتعداد الأنواع سهلة الترجمة من الناحية الشكلية على الأقل: لدينا (خرافة) وهي قصة عجائبية تحكى ليلاً؛ (مثل) أو أقصوصة؛ (نـادرة) أو أحدوثة؛ (سيـرة) وهـي قصة حياة أحـد الفرسان. ومن الصعب كما يبدو أن نقوم بدراسة أحد الأنواع من دون الأخـذ بالحسبان هذه الأنـواع الأخـرى. ففي معرض تحليلنا للقصة إذن سيحدث أن نجد أنفسنا نتكّلم عن الأنماط المشابهة لها، كالحكاية والحديث والمقامة والرواية. وبما أنّ هذا المصطلح الأخير يوازي في عصرنا الحالي لمصطلح (Novel) الإنجليزي، فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار دور الموروث السردي في تكوين الرواية العربية الحديثة.

اشتُقّت الكلمة من الفعل (قـصّ) أي «حدّث، حكى، روى»، وهو يعني حرفياً (اتّبع الأثر). أما بشأن التسمية (قصة)، فكانت تشير في الماضي إلى أصناف عدة لحكاية دينية موعظية على وجه الخصوص. وفي القرآن الكريم، عندما تأتي الكلمة بصيغة الجمع (قصص)، يُقصد بها سير الأنبياء؛ وهي حكايات قديمة تسعى إلى تهدئة بال المؤمن وتثبيته على إيمانه لشدة ما تحمله من النذر والعبر. ومن بين مفسّري القرآن ثمة واحدٌ غريب الهيئة، وهو (القاصّ) -جمعه (قُصّاص)- أي الواعظ الشعبيّ. وينمّي القاصّ من حكايات الأنبياء مستخدماً قوة مخيّلته، وعادةً ما يقوم بوظيفته هذه في الجوامع. يبدي ابن الجوزيّ (في القرن الثاني عشر) إعجابه وتقديره لهذا الصّنف من الرواة في كتابه (كتاب القُصّاص). ويـوصَـف الـقـاصّ بشخصيته الدراماتيكية المتوهجة، طليق الفكر، لا تهمّه كثيراً مصداقية مصادره بقدر ما ينشغل على إثراء الذوق الشعبي بمزيدٍ من الخيال والعجب واللاعتيادية؛ ولم يكن يتوانى عن التنكّر وعن القيام بحركات إيمائية بهدف الوصول بمن يشاهده إلى درجة البكاء أو الإغماء أحياناً. ومن المعهود أن يقف علماء الدين موقف عداءٍ من القاصّ الذي كان يزعجهم ببدعه وشطحات خياله، فكانوا يلومونه لعدم رجوعه إلى الأخبار الموثّقة. وبالرغم من التأثير الذي كان يمارسه القاصّ على الجموع الغفيرة، إلّا أنه لم ينجح باعتماد صيغةٍ روائيّةٍ أصيلة، ولم تحظَ حكاياته البتّة على أيّ شرف أدبي. كل ما نستطيع ذكره أنّ القاصّ كان الملهم لشخصية الخطيب المخادع التي كانت مركز فنّ المقامة.

تـعـتـرف الـثـقـافـة الـعـربـيـة فقط بالحكايات التي يكون لها كاتب خاص حقيقي، وهو الشخص القادر فعلاً على حياكة قصةٍ ما منطلقاً من تأهيله العلمي والأدبي. أمّا إذا كان النّص لكاتبٍ مجهول أو مغمور لم يتتلمذ على يد أساتذةٍ كبار يفتخر بهم، فلا أمل للكتاب إذن بأن يكون مرحّباً به وسط الأجواء الثقافية. ومن هنا نتفهّم الرفض الذي قوبل به كتاب (ألف ليلة وليلة)؛ فالأدباء لم يخفوا امتعاضهم من كتاب كهذا من دون مؤلف، لا يلائم إلاّ أفـراداً حمقى وجهلة. ولـم يتغيّر هـذا الموقف في الوقت الـراهـن؛ بل على العكس، فقد يصاب القارئ العربي بالإحباط -إن لم نقل بالغضب- عندما يخبره أحدهم أن كتاب (ألف ليلة وليلة) هذا قد تبنّاه الأوروبيّون، ويلقى لديهم الكثير من الاستحسان والإكبار بوصفه الكتاب الوحيد الذي يعرفون عن العرب. يا لسخرية القدر! يمثّل العرب في أوروبا كتابٌ لا يعترفون به هم أنفسهم، لأنه هامشيٌّ غير ذي قيمة؛ أو بالأحرى ابنُ سِفاحٍ في نظر الثقافة الكلاسيكية.

ثمّة نوعان من القصة إذن: قصصٌ مجهولة الكاتب، تنال إعجاب عامّة الشعب؛ وقصصٌ معروفة الكاتب -إذا صحّ التعبير-، وتحظى بمكانة مرموقة لدى النخبة الثقافية. فبينما يُعنى سـواد الشعب بالقصة فحسب، يهتمّ مثقفو الحقبة الكلاسيكية على الأقل بالبحث عن شيء آخر في القصة: عن درس يتعلّمونه من الحكاية أو عن المغزى. وهـذا ما يجعلنا نسلّم بالنجاح الفائق الذي حقّقه كتاب (كليلة ودمنة)، الذي يضمّ مجموعةً من الحكايات الهندية، وترجمه عن الفارسية في القرن الثامن الميلادي ابن المقفّع، (وهو أيضاً مؤلّفٌ قدير للعديد من الأعمال الأدبية الباهرة). يأتي المترجم في المقدمة على شرح كيفية قراءة الكتاب؛ حيث تكمن الحقيقة أو الحكمة أو العبرة خلف أحداث كلّ قصة؛ ويتوجّب على القارئ أن يبحث عنها ويجدها، إذ لا تتضح بسهولة للجميع. وتقدّم هـذه الحكمة مغزىً ومقصداً للقصّة فتضمن بذلك شرعيّتها. ونلاحظ قلقاً مماثلاً في «الرواية الفلسفية» لابن طفيل (حيّ بن يقظان) الذي كتبها في القرن الثاني عشر، وترجمت إلى اللاتينية عام 1671 تحت عنوان (Philosophus autodidactus) (التعلم الذاتي للفلسفة\المترجم). وفي هذا المؤلَّف أيضاً تغلب أهميّة المضمون الفلسفي والمعرفيّ على القصة التي تعدّ مجرّدَ تصنّعٍ تعليميٍ محض ووسيلةً مناسبة لإيصال رسالة معيّنة. ومن جهة أخرى رحّب أهل الأدب بالمقامة، وهو النوع الذي أتقنه الهمذاني والحريري، لا لشيءٍ سوى رقيّ أسلوبها وأبّهة هيئتها. ومهما اختلفت الأحوال، فإنّ السرد ينبغي أن يسوّغ الغاية من وجوده، كما لو كانت القصة البلاغية مضرّةً أو يشوبها سوءٌ في الظنّ على أقلّ تقدير.

وبينما تكون القصّة -ذات العلاقة الوطيدة بالسياق الديني- قالباً حاضناً لأحداثٍ قد جرت في الماضي، يشير المصطلح (حكاية) إلـى القصّة التي تقترن اقتراناً تامّاً بالواقع المعاصر لمن يكتبها. فالمعنى المبدئي الذي نستقيه من الكلمة هو «محاكاة وتقليد، أو إعادة إنتاج حدثٍ ما أو قصة محدّدة». وكان (الحاكي) يختصّ بإظهار صوت الحيوانات وبتقليد اللكنة الناشزة للأجانب الذين يقيمون في مجتمعات متعددة اللغات والجنسيات. إذا أمعنّا النظر فـي (الحكاية) وجدناها أقـرب إلـى المحاكاة الأفلاطونية (mimesis)، ويمكننا استغلال هذه

الجاحظ

المناسبة كي نمرّ على كتابين في غاية الأهمية: أولهما هو (كتاب البخلاء) للجاحظ الذي يصف فيه بخلاء عصره، مستمدّاً وجهة نظر البخلاء أنفسهم للعالم، وأحاديثهم حتى لو كانت تغصّ بأخطاء نحوية، كما يؤكد بعض اللغويين الصفائيين. وينذر الجاحظُ القارئَ أنّه في حال عثوره على هفوةٍ لغوية أو تعبيرٍ عاميّ أو سهوٍ قواعديّ، فليكن بعلمه أنّ حفظ هذه الأخطاء كانَ من محض إرادته، لأنّ الدقة اللغوية من شأنها أن تقلّص من التشويق في القصة؛ إذ تسلبها من جوّها الحقيقي الذي حدثت فيه؛ وأنّ هذا الأمر -دون شكّ- لا يحدث أبداً عندما يقوم بنقل أخبار البخلاء المتعلّمين؛ أما ثانيهما فهو لأبي المطهّر الأزدي بعنوان (حكاية أبي القاسم) الذي كتبه في النصف الأول من القرن الحادي عشر. يعرض الكاتب في هذا العمل الأدبي المذهل عادات وأهالي مدينة بغداد وتقاليدهم مستحضراً طريقتهم في الحوار. تدور أحـداث القصة في مكان واحد وخلال يوم واحد فقط. يقدّم غريب الأطوار هذا نفسه وهو جالسٌ أمام مأدبة عامرة؛ إنه أبو القاسم، ليس إلّا مغروراً، متبجّحاً إذا ما همّ بالحديث برهن على سوقيّته المثيرة للاشمئزاز، فيتطيّر منه المدعوّون ممّا يدفعهم إلى إتراع كأس أبي القاسم علّه لا يفيق من سكرته، كي يوضع حدٌّ لادّعاءاته الكريهة وأحاديثه المملّة. من الصعب اليوم أن نجد (حكاية أبي القاسم) في المكتبات، ويرجع هذا -أغلب الظنّ- إلى البذاءة التي تصيغ أقاويله الباطلة، نظراً لما تحمله من اصطلاحات عاميّة ولما تفيض به من عبارات إباحيّة وتهريجيّة.

ومع مرور السنين بدأت (الحكاية) تفقد معناها الأولي «محاكاة وتقليد» لتأخذ بدلاً عنه معنى «حكاية» بشكله العام والشامل، فعلى سبيل المثال تعنون كلّ قصة في "ألف ليلة وليلة" بكلمة (حكاية)؛ وبعد ذلك بكثير تغيّر مفهوم (القصّة) نفسها لينتهي بالدلالة، بشكل أوسع، على «القصة المبتدعة». ومن دون الغوص في التفاصيل، فلنا أن نقول إنّـه في النصف الأول من القرن العشرين ترسّخ استعمال صيغة (قصة طويلة) للإشارة إلى القصة المركبّة، وصيغة (قصة قصيرة) للدلالة على القصة العادية. ولكنّ هذه التسميات رضخت أمام مصطلح جديد وهو (الـروايـة) الـذي يعني أصـلاً «التنافّل الشفوي لقصيدة أو لقصّة ما»، واستُخدم المصطلح أولاً ليدلّ على «العمل المسرحي» قبيل نهاية القرن التاسع عشر. وبقيت في أيامنا هذه كلمة (رواية) الأكثر شيوعاً للتنويه عن «القصة الطويلة» والمعقدة أو (Novel بالانجليزية\المترجم)، أمّا كلمة (قصة) فاستقلّت تماماً لتدلّ على أدب القصة القصيرة أو (Short story بالإنجليزية\ المترجم).

وتعزى هـذه التبدلات الاصطلاحية إلى اللقاء الـذي تمّ مع الحداثة الغربية. ففي القرن التاسع عشر تعرّف العرب على الآداب الأوروبية ولا سيّما الفرنسية منها والإنجليزية؛ وذلـك لأسباب تاريخية معروفة. وكانت هذه فرصةً لاكتشافهم المسرح؛ أمّا الرواية فكانت موجودة أصلاً في مخيلتهم الأدبية، تجسّدها سير الفرسان والأمراء كسيرة عنترة وسيرة سيف بن ذي يزن وسيرة الظاهر بيبرس. وتتمتّع هذه المؤلفات بنفسٍ ملحميّ عميق، بالإضافة إلى أحجامها الرهيبة (يُذكر أن الترجمة الفرنسية لسيرة الظاهر بيبرس هي قيد الطباعة في باريس لدى دار النشر سندباد، التي ستتكوّن من حوالي ستين مجلّداً، هذا إذا كُتب لها أن ترى النور)، ومع هذا فما من أثر باقٍ من كلّ تلك القصص العظيمة في أعمال أدباء القَرن التاسع عشر والعشرين.

يـؤكـد بعض الـدارسـيـن أن الـروايـة العربية الحديثة كانت وليدة تقليد كتّابها للنماذج الأوروبية، وأنّ الموروث السردي العربي لم يكن له أي دور في نشأتها. بيد أنّ مثل توكيد كهذا يفتقر إلى بعض التصحيح أو التخفيف من حدة مبالغته. فالكثير من روّاد الرواية العربية

البقية ص٢٢

فرسان غيبهم الموت في العام ٢٠١١م ..
وخلدتهم إبداعاتهم الأدبية والثقافية والفكرية

أوس داوود يعقوب

« فقدت الحركة الأدبية والثقافية والفكرية السورية والفلسطينية والعربية العام 2011م ثلة من فرسان الكلمة، تركوا بصماتهم واضحة في المشهد الأدبي والثقافي والفكري العربي، وكانوا ضمير شعوبهم، فكتبوا عن آمالها وآلامها وطموحاتها وتطلعاتها ونضالها والتحفوا بمعاناتها، وقدموا لنا أبرز إنتاجهم الأدبي والفكري، ولم تغرهم حياة البذخ والترف...

اليوم وقد شكل رحيلهم فراغاً في المشهد الثقافي السوري والفلسطيني والعربي، فالعزاء أن أعمالهم الإبداعية ستظل عالقة في البال، وستبقى خالدة في ضمير شعوبنا. وأن ما خلفوه من أثر سيظل معرشاً في الوجدان الثقافي السوري الفلسطيني العربي، ولن يزول مع مرور الزمن.. «

*في سورية:

ودعنا الأديب والشاعر الشاب محمد أحمد العجيل، والراحل الكبير العلامة الدكتور عبد الكريم الأشتر، والأديب والصحفي الكبير مدحة عكاش (عميد الثقافة السورية)، والأديبة الكبيرة قمر الكيلاني، والناقد الدكتورعبد العزيز علوان.

في 29/ أيلول (سبتمبر) الماضي ودعت الحركة الأدبية والثقافية السورية الأديب والشاعر الشاب محمد أحمد العجيل عن عمر يناهز التاسعة والثلاثين عاماً، بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان. وكان قد صدّر للراحل عدداً من الأعمال الأدبية والشعرية، أهمها مجموعة شعرية حملت عنوان «غواية الحنين»، تضم عدداً من القصائد العاطفية والوجدانية حول علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وكيف يمكن لكل منهما أن يكمل الأخر. ومجموعة قصصية بعنوان «سلطة الرماد»، يقارب فيها حياة الشريحة الأكثر معاناة في المنطقة الشرقية من سورية. بالإضافة إلى كتاب بعنوان «يومئذ يبعثون» حول المسيرة التأسيسية لحزب البعث العربي الاشتراكي. كرم العجيل في أكثر من مهرجان، ونال العديد من الجوائز أبرزها جائزة مسابقة عبد السلام العجيلى الأدبية، وجائزة خليل جاسم حميدي، وجمعية «العاديات». وفاز أيضاً بالمركز الأول في القصة القصيرة بمسابقة «منتدى نبع العواطف» في مصر، وجائزة «الغساني الخابور»، وجائزة «عبد القادر عياش» في النقد، وجائزة النقد الأدبي من «بيت الشعر الفراتي». وقد حال الموت دون أن يتسلم العجيل، جائزة مجلة (دبي الثقافية) - مسابقة القصة القصيرة، عن قصته (سلطة الرماد).

ويوم السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2011م، ودعت دمشق علامة الأدب الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر. وهو من مواليد حلب عام 1929م، وتعلم في مدارسها، ونال الشهادة الثانوية من المحافظة عينها عام 1948م، وقد عمل في التعليم بريف حلب بعد نيله شهادة الدراسة الإعدادية، وانتسب في دمشق إلى كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين آنذاك Kوتخرج منها سنة 1952م فعين مدرساً في ثانويات حلب لمدة أربع سنوات، سافر بعدها إلى القاهرة ونال شهادة الماجستير في الأدب العربي من هناك سنة 1960، وشهادة الدكتوراه في الأدب العباسي من جامعة عين شمس عام 1962م، وكان وقتها معيداً في معهد الدراسات العربية العليا (معهد البحوث والدراسات العربية). ثم عين مدرساً في جامعة دمشق سنة 1963م، وارتقى إلى درجة الأستاذية سنة 1974م، سافر خلالها إلى الجزائر، فعمل في جامعة وهران لمدة أربع سنوات (1969-1973م) أحيل إلى الاستيداع سنة 1979م فعمل في جامعة دولة الإمارات المتحدة لمدة سنتين 1981م، عاد بعدها إلى جامعة دمشق وظل فيها إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة 1988م.

مثل جامعة دمشق في مؤتمرات علمية دولية عدة خارج القطر، وسمي عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق، عضو جمعية النقد الأدبي. من مؤلفاته: «التسهيل في دراسة الأدب العربي» الحديث بالاشتراك مع الأستاذ المرحوم عاصم البيطار، و«النثر المهجري وفنونه» (جزءان)، و«دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت»، و«معالم في النقد العربي الحديث»، و«دراسات في أدب النكبة»، و«التعريف بالنثر العربي».

وبعد أيام، ودعت دمشق (يوم الأربعاء 19 تشرين الأول/أكتوبر) الأديب والصحفي الكبير مدحة عكاش (عميد الثقافة السورية) عن عمر يناهز 88 عاماً.

ولد عكاش في درعا عام 1923م بحكم عمل والده آنذاك؛ فهو من حماة مواطنة وإقامة. تلقى تعليمه في مدينة حماة ثم تابع دراسته الجامعية في دمشق كلية (الحقوق) فنال الإجازة فيها، وعمل في حقل التدريس في ثانويات مدينة دمشق ومديراً لبعضها مدة طويلة في عام 1958 أصدر مجلة شهرية أدبية في دمشق أسماها «الثقافة»؛ أدت دوراً معروفاً في الحركة الثقافية في سورية والوطن العربي. ثم تحولت المجلة إلى (أسبوعية) في منتصف الستينيات باسم «الثقافة الأسبوعية» كما أعاد عام 1973 إصدار المجلة الشهرية. وهو عضو جمعية الشعر.

من مؤلفاته: « ابن الرومي - دراسة»، و «من روائع الأدب الأندلسي- دراسة ومختارات»، و«بدوي الجبل - دراسة ومختارات»، و«رسائل الجاحظ – تحقيق»، و«ياليل – شعر»، و«القصائد الأولى - بيتر تومبست – ترجمة».

وقد لعب (عكاش) دوراً مهماً في الدفاع عن اللغة العربية وإحياء جوهرها الإبداعي من خلال مجلته الثقافة، التي تحول مقرها إلى ما يشبه منتدى أدبياً مفتوحاً اجتمع فيه خيرة أدباء سورة والوطن العربي. كرمته وزارة الثقافة عام 2007م لمجمل إنجازاته، كما حصل على أوسمة من دول أخرى.

وفي الأول من شهر كانون الأول (ديسمبر) توفيت في القاهرة الأديبة الرائدة قمر كيلاني عن عمر ناهز الـ83 عاماً، والراحلة من مواليد دمشق عام 1932م. تخرجت في جامعة دمشق -كلية الآداب- في الخمسينيات. وحصلت على شهادات في التربية (دبلوم)، وفي التعليم للمرحلة الثانوية ودور المعلمين (المعهد العالي). وهي متفرّغة للأدب منذ عام 1976م، وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب ورئيسة تحرير مجلة الآداب الأجنبية الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب. ترجمت بعض أعمالها الأدبية إلى الروسية ـ الفرنسية ـ الإنكليزية ـ الفارسية ـ الهولندية. من أشهر مؤلفاتها دراسة «التصوف الإسلامي»، دار شعر، بيروت ـ عام 1962م، ورواية «بستان الكرز»، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ 1977م، والمجموعة القصصية «امرأة من خزف»، دار الأنوار، دمشق ـ 1980م، ورواية «الدوامة»، وزارة الثقافة، دمشق ـ 1981م وآخر أعمالها دراسة عن تاريخ دمشق وتأثيرها الثقافى فى الدول العربية في 2008م بعد اختيار دمشق عاصمة للثقافة العربية. وقد أدرج اسمها في عدد كبير من الموسوعات العالمية والعربية، وموسوعة أعلام القرن العشرين.

وفي نهايات شهر كانون الأول (ديسمبر) رحل الناقد والباحث التشكيلي الدكتور عبد العزيز علون، الذي أمضى عمره في البحث والتدقيق ومحاولة تقييم الحركة الفنية العربية والسورية. ولد د. علون في خان شيخون عام 1934م. ويعد أحد أصحاب المشاريع التنويرية، وأحد الدارسين الكبار للحركة التشكيلية السورية، ومن المؤثرين في تاريخ الحركة النقدية السورية. كتب الدكتور علون ما يزيد عن خمسة وعشرين كتاباً، ونشر مئات المقالات النقدية. وقد اختار بعض المقالات ونشرها في كتابين؛ الأول بعنوان «تاريخ النحت العربي في العصر الجاهلي»، والثاني «الأموي الكبير في دمشق وتاريخه وجمالاته»، وقد تحولت هذه المقالات إلى فيلم سينمائي نال عليه جائزة الإبداع.

وإضافة إلى النقد، فقد كتب د. علون الشعر، ونشر ديوان شعر بالاشتراك مع الشاعر شريف خزندار، كما أنه شارك فاتح المدرس ومحمود دعدوش في نشر أول بيان فني للفلسفة الجمالية عن الفن العربي.

فلسطينياً:

فقدت الساحة الأدبية والثقافية في الداخل المحتل في 12 آذار (مارس) المفكر والمناضل اليساري توفيق طوبي، عن عمر ناهز الـ 89 عاماً بعد صراع مع مرض عضال في منزله في مدينة حيفا.

ولد الطوبي في 11 أيار (مايو) في مدينة حيفا عام 1922م.

انخرط في صفوف الحركة الشيوعية في فلسطين في مطلع سنوات الأربعين من القرن الماضي، وكان من أبرز قادة هذه الحركة في الداخل المحتل في مواجهة أخطر المؤامرات وفي أحلك الظروف وأقساها، ما أوصلها إلى برّ البقاء والتشبث بالوطن الذي لا وطن لنا سواه؛ وتولى لفترة طويلة أمانة الحزب الشيوعي، وكان أحد رموزه التاريخية، وأحد مؤسسي عصبة التحرر الوطني، وأحد مؤسسي جريدة «الاتحاد»، والمحرّر المسؤول لها حتى يومه الأخير، ما جعل منها حاضنة الثقافة وحاضنة الفكر، وحاضنة المواقف السياسية الداعمة للحق الفلسطيني منذ النكبة وقبل النكبة وحتى اليوم.

وخاض الطوبي إلى جانب رفاقه معركة البقاء المقدّسة عام 1948م وما بعده، وفضح مجزرة كفر قاسم الرهيبة التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في التاسع والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) العام 1956م، وواجه الحكم العسكري الصهيوني بصلابة وحكمة وشجاعة، وعبر بهذه الجماهير من ديجور النكبة إلى الفجر الكفاحي الجديد الذي انبلج في مثل هذا الشهر من العام المفصليّ، في يوم الأرض الخالد عام 1976م. ويعد توفيق طوبي رمز من رموز الفكر الأممي الثوري، وله مساهماته الهامة في إطار الحركة الشيوعية ومجلس السلام العالمي. وكان في طليعة من رفعوا شعار حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني من أعماق النكبة، ومن ظلام الثالوث المدنس، ثالوث الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية. كما كان مناضلاً عنيداً مبدئياً من أجل السلام العادل- ضد الاحتلال والاضطهاد والاستغلال.

وبعد يوم واحد من رحيل توفيق طوبي؛ ودعت مدينة رام الله المحتلة في الضفة الغربية المثقف والمبدع الفلسطيني محمد البطراوي، إثر نوبة قلبية حادة ففارق الحياة عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وقد صادف رحيل البطراوي في اليوم الوطني للثقافة الفلسطينية وذكرى ولادة الراحل الكبير محمود درويش.

ولد البطراوي عام 1929م في قرية أسدود. والتحق مبكراً في صفوف الحركة الشيوعية الفلسطينية. اعتقلته القوات الصهيونية عام 1948م، وأجبر على القيام بالأشغال الشاقة. شارك في مجلة «الأفق الجديد»، ورأس تحرير «الفجر» (1974 – 1975م)، وكان عضو الهيئة الاستشارية المؤسسة لمجلة «البيادر» المقدسية عام 1976. وهو عضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس.

عرف البطراوي كأحد أبناء الجيل المؤسس لثقافة الالتزام الوطني والسياسي، ولأدب الحياة والعدالة والحرية في الحركة الأدبية الفلسطينية، وعرف بنشاطه السياسي والأدبي المتشعب. كما أسهم في احتضان المواهب الأدبية مما أهله لحيازة صفة «الأب الروحي والفكري» لأجيال من المبدعين الفلسطينيين، كما أسهم في تشكيل عدد من الاتحادات والمراكز الثقافية كتجمع كتّاب البيادر والملتقى الفكري العربي في القدس.

كتب القصة القصيرة والقصيدة والنقد والرواية. نشر الكثير في الصحف والمجلات. عمل مديراً عاماً للتنمية الثقافية في وزارة الثقافة الفلسطينية قبل تقاعده. جرى تكريمه مع الكاتبين محمود شقير وصبحي شحروري من قبل وزارة الثقافة الفلسطينية عام 2005م.

وفي الثامن من شهر نيسان (أبريل) ودعت دمشق الأديب والشاعر عبد الكريم عبد الرحيم عن عمر يناهز السبعين.

ولد عام 1942 في مدينة صفد، وشُرِّد مع أسرته عام 1948 إلى دمشق. بعد تحصيله الجامعي، عمل مدرساً للغة العربية، بالإضافة إلى عمله الصحفي. نشر في معظم الدوريات السورية واللبنانية، ويشارك في مهرجانات الشعر العربي. وهو عضو رابطة رواد الأدب منذ عام 1959م وحتى عام 1964م، والمسؤول عن النشاطات والجمعيات في اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين فرع سورية. وعضو اتحاد الكتاب العرب – جمعية الشعر – قارئ محكم في الجمعية لسنوات خلت . كما كان قارئاً محكماً في وزارة الثقافة السورية، وفي عدد من المسابقات . نُشرت مجموعة مقالات من الكتاب في دوريات عربية وعلى الانترنت. وفي العام 2005م نال جائزة الشعر عن تجمع الكتاب والأدباء الفلسطينيين. صدر له: «بين موتين وعرس»، (شعر)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ودار الجليل، دمشق، 1985م. و«آخر اعترافات الندى»،(شعر) دار الجمهورية، دمشق، 1996م. و«صاعداً إلى الطوفان»، (شعر) وزارة الثقافة السورية، 1997م. و«فضة الروح»، (شعر)، اتحاد الكتاب العرب، 2001م. و«للماء أمنح صوتي»، (شعر)،

اتحاد الكتاب العرب، 2004م. و«أدخل في مفردات المكان»، اتحاد الكتاب العرب، 2008م. ورواية صدرت أخيراً عن اتحاد الكتاب العرب في نهاية عام 2010 بعنوان «قريباً من الجرمق». حاز جائزة الشعر عن تجمع الكتاب لأدباء الفلسطينيين للعام 2005م.

وفي السادس عشر من شهر حزيران (يونيو) ودعت دمشق الشاعر الفلسطيني الكبير يوسف الخطيب، عن عمر ناهز الثمانين عاماً. ويعدُّ الخطيب أحد الأعمدة الأدبية والثقافية الملتزمة والجادة. انتسب في شبابه في خمسينيات القرن الماضي، إلى المد القومي العربي ممثلاً بحزب البعث العربي الاشتراكي، ولقد كان الفقيد حين يتعلق الأمر بفلسطين، جارحاً لا يجامل، ولا يبحث بين السطور، هو «مجنون فلسطين» و«سيفها» وجناح أحلام العائدين، وهو الفلسطيني المندى بطمأنينة الشام ومواويل النخيل في بغداد..

ولد شاعرنا الكبير يوسف الخطيب بتاريخ 6 آذار (مــارس)1931م في دورا الخليل. وفي مدرستها الابتدائية تعلم أربع سنوات، ثمَّ أتمَّ دراستهُ الابتدائية، والثانوية في مدارس الخليل. مارس الراحل الكبير العمل الصحفيّ والإذاعيّ معاً في كل من إذاعة دمشق، وإذاعة القدس (في رام الله)، وفي الوقت نفسه التحق بكلية الحقوق في جامعة دمشق عام 1951م، وتخرّج منها بإجازة في الحقوق، ودبلوم اختصاص في «الحقوق العامَّة» سنة 1955. وفي العام نفسه (1955) قام بإصدار أوّل ديوان عنوانه: «العيون الظماء للنور»، وهو عنوان القصيدة التي فاز بها الشاعر بالجائزة الأولى في مسابقة مجلة (الآداب) اللبنانية. إلى جانب إنتاجهِ الشعريّ والقصصيّ وإسهاماته الصحفية المتعدّدة، واصل عمله الإذاعي مُتنقلاً بين سَبع إذاعاتٍ عربية هي: السورية، والأردنية، والسعودية، والمصرية، وصوت العرب، والكويتية، والعراقية، إلى أن انتهى بهِ الأمر مُديراً عاماً لهيئةِ الإذاعة والتلفزيون في سوريا عام 1965م، إضافة إلى سنتين في إذاعة هولندا العالمية. وأسهم في تأسيس إذاعة فلسطين من دمشق عام 1965م. والراحل أحد أعضاء الهيئة التأسيسيَّة (لاتحاد الكتاب العرب) في سوريا في العام 1966م. وفي عام 1968م اختير عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني، عن المستقلّين، وبقي محافظاً على موقعهِ هذا حتى تاريخ وفاته.

وفي الثاني من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ودعت مدينة الناصرة في فلسطين المحتلة الأديب والشاعر الكبير طه محمد علي عن عمر ناهز الثمانين عاماً، مخلفاً وراءه مجموعة كبيرة من القصص القصيرة والقصائد الشعرية التي ترجمت إلى العديد من اللغات.

ولد طه في قرية صفورية في العام 1931م. وفي نكبة العام 1948م نزح مع عائلته إلى لبنان وبعد شهور عاد مع العائلة إلى وطنه لكن السلطات الاحتلال الصهيوني لم تسمح لهم بالعودة إلى صفورية التي تم تهجير جميع سكانها، وفي وقت لاحق أقيمت على أنقاض القرية بلدة يهودية باسم «تسيبوري». واستقر طه محمد علي في مدينة الناصرة المجاورة لقريته، وعاش فيها حتى وفاته.

كتب القصة والشعر والمقال، ونشر معظم إنتاجه منذ سبعينيات، القرن الماضي في مجلات «المجتمع» و«الجديد» و«الاتحاد».

ولقد تأخر طه في النشر؛ فقد ظهرت مجموعته الأولى «القصيدة الرابعة وعشر قصائد أخرى» (1983م)، وتلتها أربع مجموعات شعرية: «ضحك على ذقون القتلة» (1989م)، و«حريق في مقبرة الدير»(1992م)، و«إله، خليفة، وصبي فراشات ملونة» (2002م)، و«ليس إلا» (2006م) ومجموعة قصصية واحدة «سيمفونية الولد الحافي» (2003م).

وشعر طه، في بعض مناطقه، هو المرثاة الفلسطينية الأشد قسوة. وفي مناطق أخرى، تترعه حكايات طفولته وسير أهل صفّورية، شعر يطفح بدعابات معصورة من حياة شقية. وإن كان محمد الماغوط يلقي بظلّه على جزء من أرض طه محمد علي الشعرية، فإن أصالة تجربة طه الشعرية ومعجمه الفريد يتجاوزان - برأي النقاد - المؤثرات الماغوطية، ولا سيما مجموعتيه الأولى والثانية. وللأسف نشر طه جميع كتبه في فلسطين بطبعات محدودة التوزيع. ولم تحظ بناشر عربي، ما حال دون أن تُقرأ قراءة مناسبة في العالم العربي. رغم أن اسمه وضع على لائحة أهم شعراء القرن العشرين في موسوعات الشعر الحديث، سواء بالمراجع الصادرة بالانكليزية أو بالعربية .

وفي السادس عشر من الشهر ذاته (تشرين الأول / أكتوبر)، ودعت دمشق الشاعر طلعت سقيرق عن عمر ناهز الـ58 عاماً، ولد سقيرق في طرابلس/ لبنان في الثامن عشر من آذار عام 1953م، ثم انتقل مع أهله إلى دمشق؛ حيث كانوا غادروا حيفا مع من غادروا فلسطين بعد نكبة عام 1948م، تلقى علومه في مدارس دمشق وجامعتها، عمل في الصّحافة، وتفرغ للعمل في مجلة صوت فلسطين منذ عام 1979م، وحتى وفاته.. توزعت اهتماماته الأدبيّة بين: الشعر، والقصة، وبعض الكتابات المسرحيّة، وهو عضو اتحاد الكتاب والصحفيّين الفلسطينيين، وعضو اتحاد الصحفيّين في سورية، وعضو اتحاد الكتاب العرب، أخلص لقضايا أمته ووطنه، وحملت كتاباته روح القلم المقاوم، والفعل المقاوم، وكبقية شعراء فلسطين جميعهم، عاش ورحل ونبضه لم يتوقف لحظةً واحدةً عن التغني بالوطن السّليب، وقلمه عاش حلم العودة والرّجوع حتّى آخر أحلامه وأيّامه، وترك للأجيال مجموعةً من كتاباته الوطنية، وحمل شعره روح الأمل، والإصرار على تحرير الأرض، والعودة إلى الوطن السّليب.. من أعماله: «لحن على أوتار الهوى»، شعر، 1974م. و«أنت الفلسطيني أنت»، (شعر)، 1987م. و«القصيدة الصوفية»، (شعر)، 1999م. و«الانتفاضة في شعر الوطن المحتل»، (دراسة)، دار الجليل 1999م. و «نقوش على جدران العمر»، (شعر)، دار المسبار للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - 2008م.

وفي الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) توفي في كفر ياسيف في الداخل المحتل، الأديب والفنان التشكيلي د. سليم مخولي عن عمر ناهز الـ 73عاماً. ولد د. مخولي عام 1938م في كفرياسيف. حصل على الدكتوراه في الطب عام 1966م. وله نشاط واسع في المجال الثقافي. من أعماله: «معزوفة القرن العشرين» (شعر)، عكا - 1974م، و«صدى الأيام» (شعر)، عكا - 1974م، و«ذهب الرمال»، (شعر) 1989م، و«تعاويذ للزمن المفقود»، (شعر) 1989م، و«الناطور»، (مسرحية) 1979م.

وفي التاسع عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) ودعت الأوساط الثقافية في الداخل المحتل الشاعر الكبير سالم يوسف جبران. المولود عام 1941م، في البقيعة في الجليل الأعلى. عمل جبران عام 1962م محرراً في مجلة «الجديد» وصحيفة «الاتحاد» الصادرتين في حيفا.. بعدها أصبح رئيساً لتحرير مجلة «الغد» الحيفاوية.. وفي العام 1990م عمل رئيساً لتحرير «الاتحاد» اليومية, ثم أسس مجلة «الثقافة» ورأس تحريرها. كما حاضر في الجامعات والمعاهد العليا حول التعددية الثقافية وقضايا الثقافة الفلسطينية والقضية الفلسطينية عموماً. نشر أسبوعياً في صحيفة «الرأي» الأردنية, وفي «النهار» اللبنانية، و«الطريق» الفلسطينية، ويرأس تحرير مجلة «المستقبل» الأدبية. شعره منشغل بمأساة شعبه الفلسطيني، وهو يعبّر عن هذه المأساة بشعر بسيط نافذ الوقع والفعالية. ومن أشهر أعماله: «قصائد ليست محدّدة الإقامة»، (شعر)، دار الآداب، بيروت - 1970م. و«كلمات من القلب»، (شعر)، دار القبس العربي، عكا، - 1971م. و«رفاق الشمس»، (شعر)، دار الحرية للطباعة والنشر، الناصرة - 1975م. و«عاشق من فلسطين»، (شعر) مشترك، باللغة الانكليزية.

من الأقطار العربية الأخرى:

ودعت لبنان في الأول من شهر أيلول (سبتمبر)، المؤلّف والمؤرّخ المرجعي والباحث البروفسور كمال سليمان الصليبي، أستاذ الشرف في دائرة التاريخ وعلم الآثار، في الجامعة الأميركية في بيروت، عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاماً.

ولد د. الصليبي في مدينة بيروت في الثاني من أيار (مايو) 1929م، وإثر الإعلان عن خبر رحيل عاشق الأدب والفن والموسيقى، قال المؤرخ والكاتب اللبناني جورج قرم إن: «الصليبي احتل موقعاً كبيراً في مجال التأريخ. ورغم أن بعض أعماله كان مثيراً للجدل، فإن له مركزاً مرموقاً في الحياة الفكرية اللبنانية والعربية، وقد أغنى المكتبة العربية واللبنانية بأبحاث معمقة ومكتوبة بأسلوب شيق وجميل».

وقد كتب د.الصليبي في تاريخ لبنان وسورية والأردن وتاريخ شبه الجزيرة العربية، وكانت له في ذلك كله مساهماته الفكرية المميزة والفريدة والمثيرة للجدل في آن.

وعبر رحلة عطائه الفكري كان الراحل يبحر في نظرياته التاريخية عكس تيّار الذاكرة الجاهزة التي فرضت نفسها على المدونات الرسمية. وتكمن أهميته في المناهج التي اتبعها في عمله، كمؤرخ ارتكز على دراسة التاريخ وتفكيكه. وكمؤسس لمنهجية حديثة في التحري عن الحقائق عبر ربط اللغة بالجغرافيا.

ومن أشهر مؤلفاته: كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» (1985م)، و«منطلق تاريخ لبنان» (1979م)، و«بلاد الشام في العصور الإسلامية الأولى» (1979م) و«تاريخ الجزيرة العربية» (1980م)، و«البحث عن يسوع، قراءة جديدة في الأناجيل» (1988م)، و«خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل» (1988م)، و«حروب داود» (1991م)، و«تاريخ لبنان الحديث»،(2002م)، و«طائر على سنديانة» (2002م)، و«عودة إلى التوراة» (2009م)، و«حكايات بني إسرائيل» (2010م). وغيرها من الكتب.

وفي مصر رحل يوم الرابع من شهر كانون الثاني (يناير) الأديب نهاد شريف (عميد كتاب الخيال العلمي)، عن عمر ناهز الـ 79 عاماً. ولشريف أعمال متعددة في مجال أدب الخيال العلمي، أشهرها روايته الأولى (قاهر الزمن) التي صدرت في نهاية الستينيات، وتحولت إلى فيلم سينمائي أخرجه كمال الشيخ عام 1986م.

وفي 13 شباط (فبراير) رحل الروائي والكاتب الصحفي عبد الستار خليف عن عمر ناهز الـ 67 عاماً. من أبرز أعماله رواية (البحث عن بندقية) و(المسافرون) و(غريب بين الديار).

كما ودعت مصر يوم التاسع من شهر أيلول (سبتمبر) الكاتب والروائي الكبير خيري شلبي عن عمر ناهز الـ73 عاماً. وفي 21 تشرين الأول (أكتوبر) رحل الأديب والصحفي أنيس منصور عن عمر ناهز الـ87 عاماً.

وفي 11 كانون الأول (ديسمبر) غيب الموت الأديب والصحفي الشهير أحمد بهجت عن عمر يناهز ال79 عاماً. وفي الثالث والعشرين من الشهر نفسه، تُوفي الدكتور محمود حافظ، رئيس مجمع اللغة العربية، ورئيس المجمع العلمي المصري، ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

وفي الأردن غيب الموت يوم 29 كانون الثاني (فبراير) الكاتب والسياسي سالم النحاس عن عمر ناهز الـ 70 عاماً. خاض الأديب الراحل في سائر حقول السرد الأدبي من قصة قصيرة ومسرحية ورواية وقصيدة، إضافة إلى ذلك كان ناشطًا في الفعل الثقافي المؤسسي حين عمل بالتعاون مع كتاب ومثقفين وأكاديميين أردنيين وفلسطينيين على تأسيس رابطة الكتاب الأردنيين.

وفي الثاني من كانون الأول (ديسمبر) فقدت الساحة الأدبية السعودية الصحفي والأديب والشاعر عبد الكريم عبد العزيز الجهيمان عن عمر ناهز الـ 99 عاماً. أسس الجهيمان في ثلاثينيات القرن الماضي صحيفة «أخبار الظهران»، وهى أول صحيفة في شرق الجزيرة العربية، وطالب فيها بتعليم المرأة السعودية. له مؤلفات عدة أهمها؛ الأساطير الشعبية في شبة الجزيرة العربية.

وفي العراق رحل يوم الثامن من شهر حزيران (يونيو) في مدينة السليمانية الكاتب والصحفي محمد نوري توفيق، وكان الأستاذ الأديب الراحل من الصحفيين المتمكنين في مجال عمله، وله مقالات وكتابات عديدة في الصحافة الكردية والعربية.

وفي الثامن من شهر حزيران (يونيو) غيب الموت الشاعر والإعلامي محمد درويش علي الذي عانى في شهوره الأخيرة من مرض عضال لم يمهله طويلاً.

وفي 25 تمّوز (يوليو) نعت الأوساط الثقافية والسياسية المناضل والأديب الدكتور أبو بكر خوشناو، الذي أطلقت عليه جامعة السليمانية عام 2007م «أبو الشعر الفارسي المعاصر». ولأبي بكر خوشناو أربعون مؤلفاً بين الشعر والبحوث الأدبية والترجمة شملت الأدب والتاريخ والثقافة.

وفي الثامن من شهر أيلول (سبتمبر) رحل الكاتب والأديب المعروف محمود زامدار عن عمر ناهز الـ 66 عاماً، وله أكثر من ثلاثين كتاباً مطبوعاً.

وفي الثاني من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ودعت الأوساط الثقافية في الديوانية الشاعر علي الشيباني الذي توفي إثر مرض عضال عن عمر ناهز ال67 عاماً.

وتوفي في 11 من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في القاهرة شيخ النقاد الموسيقيين العراقيين عادل الهاشمي، في أثناء مشاركته في مهرجان الموسيقى العربية. ويعد الهاشمي أحد أهم النقاد الموسيقيين الذين اثروا هذا المجال بنتاجاتهم القيمة. ولد الراحل في بغداد سنة 1946 في الأعظمية، وله إسهامات نقدية موسيقية، كما وأصدر كتباً عديدة في مجاله.

وفي السادس عشر من هذا الشهر أيضاً شيعت مدينة السليمانية الشاعر والأديب خالد عبد الواحد المعروف بـ(خالد دلير)، والذي توفي إثر مرض عضال. وهو من مواليد 1933م.

ومن دمشق حملت الأنباء رحيل الشاعر مهدي محمد علي ليل27 / 28 من الشهر ذاته في أحد مستشفيات مدينة حلب السورية، التي كان يقيم فيها مع زوجته وابنته منذ أكثر من عقدين.

وفي الثامن من شهر كانون الأول (ديسمبر)، فقدت الساحة العراقية أحد أهم القصاصين الرواد في العراق الأديب محمود عبد الوهاب، عن عمر ناهز الـ80 عاماً، إثر تعرضه لنوبة قلبية. وهو من مواليد بغداد 1929، مارس الكتابة في مجال القصة والرواية والنقد، قرابة ستين عاماً، وترأس اتحاد أدباء البصرة لفترات.

كما رحلت يوم الثامن من شهر شباط (فبراير) الروائية الفرنسية - ذات الأصول اللبنانية - أندريه شديد عن عمر ناهز التسعين عاماً. ولدت أندريه في مدينة القاهرة في 20 آذار (مارس) 1920م، وعاشت في باريس منذ العام 1946م، وكتبت نصوصها الأولى باللغة الانجليزية قبل أن تختار اللغة الفرنسية. ولها أكثر من 25 كتاباً تنوعت بين الرواية والشعر والقصة القصيرة والمسرحية وكتب الأطفال، ومن أبرز مؤلفاتها في الرواية «الرماد المعتق» 1952م، و«جوناثان» 1955م، و«الحاسة السادسة» 1960م. وأبرز مؤلفاتها في الشعر «نصوص لوجه» 1949م، و«نصوص لقصيدة» 1950م، و«نصوص للحى» 1952م، و«نصوص للأرض الحبيبة» 1955، و«أرض وشعر» 1960م، و«طقوس العنف» 1976م.

قصص المعركة الأخيرة لعدنان كزارة

بين الواقع والتخييل

أحمد حسين حميدان

القاص السوري عدنان كـزارة الحائز على جائزة ملتقى الثقافة وجائزة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات, في مجموعته "المعركة الأخيرة لسيف عربي"، التي خصصها لرصد المجابهة الإنسانية ضد منغصات الحياة ومعوقات تحقيق الحلم, لم يعتمد عبر سياقها السردي على أي سلاح حديث في معاركها الدائرة، فبقيت سليلة ماضيها متشحة بسيف مجدها العتيق الذي نسب إليه القاص كزارة من البداية ـ على صفحة الـغـلاف ـ المعركة الأخـيـرة المتحولة إلى هرج ومرج في هيئتها الحاضرة، وذلـك بعد أن تحوّل سيفها ـ الـذي هو رمز الفروسية والشجاعة ـ إلى أداة حادة لقطع قالب الكيك في حفل كان من ضمن الحاضرين فيه الراوي المشاهد لمفارقات الحدث في القصة التي سمى الكاتب بها مجموعته القصصية.. والتسمية عبر هذا الفحوى ليست نداء ودعوة، يتم منها استدعاء القارئ وحسب؛ بل هي انتشال للأشياء من غيابها أيضاً، ومحاولة استضافة لها داخـل عالم مستحدث كما يعبر هيدغر، وهو ما جعل السياق القصصي عند عدنان كزارة يعتمد على مايسميه إريك فـروم بالرمز العرضي الـذي يتعلق بتجربة الذات، فيخرج من الدلالات المعتادة، ويلبس لبوساً جديداً بدت من خلاله المعركة وسيفها وضحاياها بصورة مقلوبة ومختلفة عن ملامحها المتعارف عليها، وذلـك بعدما تـمّ تصوير وقائعها على نحو تعبيري متداخل بأكثر من صوت.. ففي الوقت الذي يقول فيه راوي القصة العليم «رأيته بأم عيني السيف العربي المعقوف مضرجاً بالكريم والدم الأبيض، فقد انتهى لتوه من الفتك بقالب الكيك, تتدخل بقية السيوف لتسأل هذا السيف عن سبب عودته المبكرة، وتقول له مستفسرة : ـ هل انتهت المعركة؟..

فيرد هو: عن أي معركة تتحدثون؟!..

ـ إذاً, أين كنت, ولِمَ غادرتنا؟..

ـ واخيبتاه, لقد جهزت نفسي ليوم طالما حلمت به, ولكن لم أدرِ أنهم يريدونني ليوم المطعمة لا ليوم الملحمة!..» ص16/15

من خلال ذلك يأخذ عدنان كزارة السيف من رمزيته التاريخية والموضوعية الماثلة في الذاكرة الجمعية، ليرسم له عبر متخيله السردي قواماً رمزياً آخر يجسد بمدلولاته حال الحرب العسكرية العربية المجهضة، والمعلق سيفها الآخـر المتمثل بالطائرة والدبابة والأسلحة الرشاشة، وذلك بعد أن غادرت ميدان القتال والمجابهة إلى ساحات العرض كسيف حفلة الكيك السابقة، وكان مؤدى ذلك تراجع فعلها العسكري واضمحلال مقاومتها إلـى حدود الهزيمة التي تجلت صورتها على نحو مفجع في الخامس من حزيران ـ يونيو /1967/ تلك التي عدّها القاص كزارة في قصة « بين فنجاني قهوة « بمثابة مقبرة, دافعاً بطله إليها لزيارة قبر أبيه المتوفى، جاعلاً إياه يتوقف عند تاريخ الوفاة المتزامن مع تاريخ الهزيمة العسكرية، وبذلك يكتسب موت الأب دلالة رمزية على موت السلطة الرسمية الحزيرانية التي انعدم الفعل القتالي لجبهتها العسكرية، وتصبح وفق ذلك المقبرة المفروشة بهذا الموت معادلاً موضوعياً لنهاية النظام الرسمي المتسبب بهذه الهزيمة

البقية ص٢٢

مملكة أدونيس

عدنان رمضان

عندما يقترب نص الشاعر محي الدين محمد في كتابه النقدي «راهب الجهات الدافئة» من مملكة أدونيس, تحت عنوان مغرٍ هو:"فضاء لغبار الطلع.. صيف لأدونيس العاشِق" تعقيباً على الديوان المرفق والصادر عن مجلة دبي الثقافية, والـذي أتمنى لو أن شاعرنا الكبير أدونيس سوف يطّلع عليه، ليدرك جمال النافذة الصيفية التي فتحها الناقد باحترام شديد على الفضاء السحري الأدونيسي بإيجاز وبلاغة بلغتا أقصى حدود الروعة؛ حيث نرى أن الناقد يقف أمام باب قلعة مملكة أدونيس بإجلال؛ وهو الذي شيد برج شعره العالي بلغات حجارة حديثة لم يعتد عليها المعاصرون من أهل الفكر والثقافة كُتاباً وقرّاء, حتى ابتدأ المؤلف بعبارة هي بالمعيار الفكري مصباح إضاءة لمجمل الحالة الخلّاقة التي يمثلها أدونيس في محيطه الإبداعي العالمي:"الشاعر ما زال يرى في الرؤية رؤيا... وفي الصوت الشعري الغامض ألف معنى, وقد اخترقت حداثته كل الحدود... ودخلت كل الآفاق...وهو الذي خبر الحالة التي تنتج الشعر, ويكفي بالظلال الشاعرية في متون النصوص لإدراك أن الشعرية هي أيضاً الحالة التي يعيشها الشاعر الحقيقي لتولد معه قصيدة..." ثم يكمل بقوله: «بهذا المعنى يدمّر أشياء لينكر أخرى..حتى تظل مرايا الزمن الأبيض مرايا عاكسة...الخ», ثم يقرر أن أدونيس هو الشاعر المبدع الفيلسوف. ومنذ خمسين عاماً وهو يتربع على عرش ثورة معرفية في فضاء واسع مألوف,ثم تجاوزته إلى فضاء بكر معرفي آخر قلّ من دخله ليزرع فيه تلك الشجرة المعرفية غير المألوفة تؤتي أُكلها بثمر جديد لأجيال جديدة, وتم ذلك بهجران للكوفية المزركشة والعباءة السمراء التي اختار لها ما يلائم صورتها بين أمم العصر الحديث، وبالتالي أضحى صانع دولة الشعر بأركان ذات أصل فلسفي حداثوي معاصر, وهذا ما أكده الناقد في أن «النص الأدونيسي قام بانقلاب على صعيد الخطاب الذي أراد من خلاله أن يستعيد سلطان التاريخ وجبروت الأرض".

لقد أثـارنـي في المقدمة الرائعة للناقد استنتاجه أن أدونيس قد قام بتدمير أشياء وابتكار أشياء، بدءاً من هجر الكوفية والعباءة, وهذا صحيح؛ فمن المعروف تاريخياً لمن تابع مسيرة حياة أدونيس أن أول ظهور لأدونيس كان بالجلباب والشروال أمام المرحوم الرئيس شكري القوتلي, عندما ألقى أول قصائده أمامه، تلك التي كانت سبباً لمتابعة دراسته وفتح أبواب المجد أمامه, وهو الذي طوّع التراث الصوفي والشعر العمودي لفتوحاته الفكرية الحديثة, في الوقت ذاته الذي تم فيه استبدال البنطال بالشروال, وبالجلباب القميص، بالرغم من اعتقادي بأن الدخول المعاصر لم يكن بقصد هدم أوتاد الشعر والخيمة العربية واستبدال بالأعمدة الخراسانية وتحرير الشعر, من قيود أصبحت عبئاً أمام التطور الطبيعي للشعرية الفكروية المؤسسة على قوانين جديدة, أخذت ملامحها تتضح للشعراء الحداثويين ضمن اختراع قوالب جديدة.

غير أني أرى أن التأسيس النظري لكل ذلك محكوم بنظرية التطور التي نبتت من رحم تلك القوالب القديمة، التي كانت تطرب وتحرك عواطف أجدادنا العرب وأفكارهم سابقاً, وهذا أمر طبيعي لا بد منه. ولأن أدونيس كان صاحب الفتوحات والجرأة, فلا بد من الاعتراف بذلك. ولهذا فإني أؤكد بأن الناقد كما أغبط نفسه ونحن

بتجليه الإبداعي المدائحي, لم يجانب الصواب الذي قلّ من يمتطي صهوته فقط ليصل إلى غاية المدح ودريئة التقديس بهالتها المستوحاة من نص مشغول بمنتهى الذكاء والحرفية.

الانبهار يبديه الناقد بشاعر جعل الأمكنة تبحث عن غبار طلعها لتكتمل دورة التلاقح الطبيعية، فيستثير الصحارى المكابدة لمرارة الهجر وفحالة الإبداع واختناقها بمرارة الأسئلة، حول ضرورة الهجرة لغبار الطلع إليها من الربوع الخضراء المحيطة بها لاستنبات واحات فكرية ودحر التصحر بكل أشكاله, عبر خطاب جديد ونـص حديث جدير بمستقبل واعـد وذهنية جديدة, من خلال استيلاد جسد ثقافي معرفي وفكر مـا خطر على بـال أحـد، وبالتالي يكون أدونيس مهندس القوانين الطارئة المؤسسة لثقافة القصيدة العربية الحديثة من تجديد ثوبها ومبغاها ومعناها، لكن ما صدم أدونيس هو انطفاء المرايا الثلاث في هذا العصر المرعب، للقيم الثلاث الحق والخير والجمال في ظل عهد عولمي أحمر الشعار, أخـذ لونه من لـون الدم المسفوح للإنسان ولقيمه التي تعبت البشرية كثيراً للوصول إليها, تجلى بتجويع الشعوب وقهر الناس ومصادرة قوتها وهويتها، وقد كانت حلبجة المسمومة أحد المسارح لها, حيث بقي وجه الصديق المحبوب مطبوعاً بذهن الشاعر في لوحة حية لا جفاف فيها,مع اقتران ذي مدلول لحكاية الأخوة العربية والكردية,من خلال لملمة الحروف المقصية ومصادرتها وربما حرقها,وبدل الجلوس بعدها على صخرة لاجترار الأحزان,يكون الانطلاق بالمزاوجة بين الرماد الماضوي ليكون غبار طلع لإنبات مواسم عطاء وحـب بين كل الناس,ومن ثم تجاوز المحنة ونشوء جيل جديد له تكوين عشقي وميل للحب والارتباط الإنساني، تماماً كما فعل العشاق في التراث العالمي مثل قيس وليلى ومموزين وحتى روميووجولييت.

مـن هـذا المنطلق يتم التشكل لـولادة أدونيسية ,تنادي بشعار صداقة الضوء الذي هوالشعور الإنساني العام المتشابك مع كل الأجناس,على مدى اتساع القارات، وخاصة عند الوصول إلى تخوم سور الصين العظيم,حيث وبالرغم من إعجاب الشاعر بالشعر الصيني الشامخ والخالد,إلا أنه في هذا العصر يرى في رصف كلمات القصيدة في اللغة العربية التي امتازت بوجود حرف الضاد ,ما يسد رمق الروح و يجعلها تختال بين الناس وتلامس حدود السماء.

(حبيبتـي جبلـة) للأديب صبحي سعيد..

موفق أبو طوق

يتفاعل الهمّ الوطني، مع الهمّ الإنساني، في إطار معادلةٍ كيميائية متميزة، ليكون الناتجُ(على الطرف الآخر من المعادلة) مركّباً متجانساً، يبرز بدقة ملامحُ المأساة الفلسطينية، ويوضح معالم الـدروب التي يسلكها الأخـوة الفلسطينيون، أجل، فقد استطاع صبحي سعيد عبر مجموعته: حبيبتي جبلة(الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في سورية) أن يـقدم قصصاً تغوصُ في أعماق النفس البشرية، وتعبّرُ عن المعاناة الدائمة التي يعيشها المواطنُ الفلسطيني، في ظلّ عدوٍ همَجَي، لا يحفظ إلاّ ولا ذمّة، ولا يحترم عُرفاً مألوفاً، ولا قيمةً أخلاقية.

وقد كان في الإمكان أن تكون هذه المجموعةُ القصصية روايــةً فنية متكاملة، وأن تكون قصصُها المتلاحقة فصولاً متتابعة لهذه الرواية المفترضة، فكل قصة من قصصها ترتبط مع أحداث القصة التي قبلها، وهي في الوقت نفسه تتواصلُ فنياً مع أحـداث القصة التي بعدها، ولكن على ما يبدو أن زميلنا صبحي أراد أن تحلّ عدةُ مآسٍ مكان مأساةٍ واحدةٍ مجسّمة، أراد أن تزدحم المآسي وتتكاتف وتتكاثف ويتكاثر عددها، بحيث تقدم كلُ قصةٍ مأساة منفصلة يتلقفُها القارئُ الصغير، فيـدرك أن همومَ أهـل فلسطين لا يمكن أن تُحصَر في همّ واحد فقط.

قد تكون القصة الأولى(شدّة وتزول) تتحدث عن واقـع طفل فلسطيني يـدرس في مدرسة مـن مـدارس الأرض المحتلة، ويعيش ضمن أسـرة فلسطينية تتألف من أبٍ مجاهد نال فيما بعد شرف الشهادة، وأُمٍ متحمسة تدفع ابنها إلى أتون المقاومة، والتصدي لجنود العدو الإسرائيلي.. لكن القصص التي تلي هذه القصة تتابع بدقة خُطا ذلك الطفل الفلسطيني، الذي جمع بين الـدراسة من جهة(بوصفها مرتكزاً لأي عمل مستقبلي)، والمقاومة من جهة أخرى، عبر مشاركته مجموعةً من زملائه في الخروج بمظاهرات تشجب العدوان وتندد بكل عمل وحشي.

اضطهاد، إذلال، تعذيب، تشريد، تفجير، تدمير، قتل، هـدم... ومفرزات عدوانية أخرى ناشئة عن استمرارية العدوان الإسرائيلي الجاثم فوق صدور أهل فلسطين، ومن بين هؤلاء الأهل يظهر(أحمد) بطل تلك(القصص) التي تتحدث عن عدد من الأصدقاء، أسماؤهم متعددة متنوعة: أحمد، عيسى، مهيار، سامي، ويضاف إليهم الأستاذ ماجد الذي يأخذ دور المعلم والموجّه معاً، والذي يحاول أن يأخذ بأيدي أبنائه الطلاب نحو دروب الحق والحقيقة، ويلقنهم مبادئ الوطنية السامية والقيم العربية الأصيلة.

● في القصص مواقف تشد الانتباه، وأحداث تدمي القلوب، ولا أجد حرجاً حين أقول: إن الدموع قد نفرت من عينيّ مرات عدة ، وأنا أعيش مع شخوص هذه القصص، التي تعيش بدورها في أجواء حزينة، تؤجج المشاعر وتثير الأحـاسـيـس، فهناك سـامـي الـذي أحـب أمه المتوفاة، ففارق الحياة وهو متكئ على قبرها، وهناك مهيار الـذي رفض هدية عمه، وصمم على أن لا يبيع معروف أبيه بمال الدنيا.. وهناك الممرضة التي تحمد الله على كرمه، لأنها أم لشهيدين قدما روحيهما هديـةً للوطن.. وهناك عيسى وصديقـه اللذان تعرضا لعدوان غير مسوّغ، أدى في النهاية إلى استشهادهما.

● وفـي القصص معلومات متنوعة، قُدّمت بأسلوب القصّ الفني، فهي تدخل إلى عقل الطفل المتلقيّ، بيسر ومـرونـة.. هناك معلومات علمية عن علاقة المطر باخضرار المزارع وكثرة الأحـراج، وهناك معلومات جغرافية عن مدينة جبلة وما تحتضنه من آثار وأوابد، وهناك معلومات تاريخية عن البطل عز الدين القسام، ومـا قدمه من تضحيات في سبيل فلسطين، وهناك معلومات فلسفية عن الوجود وعن الحياة، تتجلى عبر الحوارات التي تجري على ألسنة أبطال القصة.

● فـي الـقـصـص حـــثٌ عـلـى اللعب، فالطفل(بطبيعة الحال) يتوق إلى اللعب الفردي أو الجماعي، مهما تكن الظروف والأحـوال التي تحيط به، واللعب في هذه القصص يختلف من سن لآخـر، يبدأ بالقفز مع الخروف الوديع في الطفولة الأولى، وينتقل إلى متابعة الغيوم ومراقبة أشكالها والرغبة في الوصول إليها في الطفولة الثانية، ثم يتحول في الطفولة الأعلى، إلى لعبة العسكر والحرامية التي تحتاج إلى حماسة وحركة.

● وفي القصص تضمين لأشعار معروفة، استخدمها الكاتب كي تخدم الفكرة التي يريد تقديمها، فبيت الشعر المهجري(يا ثلج قد هيجت أشجاني) يَتحول في قصص المجموعة إلى أن العيد(وليس الثلج) هو الذي يذكرّ بالأهل والجيران، ويهيج الأشجان والأحـــزان، والبيت الشعري الذي أورده الشاعر سليمان العيسى(في روايتـه الشعرية: الإزار الجريح) على لسان حسان بن ثابت(ألِمثلي يقال هـذا، وسيفي ولساني أسطورتان لديا) جاء على لسان صبحي سعيد: ألِمثلنا يقال هذا.

● القصص مكتوبة بقلم كاتب متمرس، يعيش الأحـداث(الـتـي تجري فـي فلسطين المحتلة) بكل مشاعره وأحاسيسه، ويتفاعل معها بطريقة تثير الإعجاب والاستغراب، ولولا معرفتي بأن الزميل صبحي سعيد مقيمٌ في دمشق، ومولودٌ في الرقة، لقلت(بعد قراءتي قصصه) بأنـه فلسطيني ابن فلسطيني، وأنه عاش ويعيش في قلب فلسطين ذاتها، ويعايش ما جرى وما يجري فيها من أحداث ومعارك.

صبحي سعيد

والأسـلـوب الـذي اتبعه صبحي سعيد في مجموعته، أسلوب سردي واقعي، فالحدث المؤثر لا يحتاج إلى خيال، على كل حال، وعلى الرغم من المدرسة الواقعية التي التزم بها الأستاذ صبحي، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يلجأ من وقت لآخر إلى أجنحة الخيال، عبر عرضه أحلام الأطفال التي تطفح بأخيلة واسعة.

والعرض البلاغي متجدد، فهو يتألق بين حين وحـيـن، هناك بيان آسـر، وهـنـاك جمل وعبارات، فيها صور مشرقة، وكنايات جذابة، وتشابيه مفرطة في الجمال.. وأعرض هنا(على سبيل المثال لا الحصر) نماذج منها:

(وبقيت تلك الأمنيات في صدورنا، وردةً تحلُمُ بقطرات من غيمة حنون، تكبر معها في حقول خضـراء، وكيف تعيش الورود بين دبابات الصهاينـة الأشرار، يبثون سمومَهم الحارقةَ في كل مكان يحلّون فيه).

وقوله:(ما أصعبَ الجلوسَ على فراش المرض، تكبلُك الجراح، تمنعك من الحركة، وأنت تجمعُ وتطرح وتقسم دقائق الـزمـن، وهـي تعضُك بأنيابها الصقيعية الباردة، ولا دواءَ إلا نجومٌ تتلألأ في فضاء الروح، تحكي لك حكايات بديعة، تقودُك إلى ينابيع الحياة، لتشرب منها، وتروي حقول أفكارك وأحلامك، وتغسلُ عنك غبار الآلامِ والأحزان).

وقوله:(ها أنذا أرفـعُ قنديلي عالياً، ليشرق كالشمس، في رحـاب الحياة، تميسُ الأشجارُ فرحاً، وتصفقُ الطيورُ فخراً واعتزازاً، وتصدَحُ البلابل بأناشيد النصر، وتبتهجُ الغيوم وهي تذوب غيثاً كريماً، يعانق مروجنا الخضراء، عناق الأحبةِ بعد شوقٍ طويل، فترقصُ الأنهارُ نشوةً وحبوراً، بين الحقول والبساتين، تردد مواويل جدي، أسمعُ صوتَ الأمطار، تعزِفُ ألحانَها على صدري، ثم تنحدرُ إلى عشبٍ أخضر، تطرّزُه الأحلام بأجمل الأزهار).

● وأخيراً.. تبقى قصص(حبيبتي جبلة) جديدة في عرضها وأسلوبها، ومتميزة في وصفها لما يجري على الساحة الفلسطينية، ولعلها تحمل(بالإضافة إلى التشويق القصصي) المعلومة التي يبحث عنها القـارئ الناشئ، ويفتش عن التفاصيل المتعلقة بها.

* * *

لقد تجاوز صبحي سعيد إشكالية الكتابة عن الطفل والحرب، أو إشكالية الكتابة للطفل عن الحرب، صحيح أن التجربة صعبة، والمحاولة شاقة، ولكنه استطاع أن يجتاز الامتحان بنجاح، إذ أن عرض ما يجري من معارك، وشرح دوافعها ومسبباتها، يحتاجان إلى كاتب يملك من قدرة التفسير الشيء الكثير، ومن إمكانية الإقناع الشيء الأكثر.

لقد أفرزت هـذه القضايا الوطنية الشائكة حالة وعي متجددة عند زميلنا الكاتب، بخاصة أن القصة هي أقصرُ طريق إلى مخيلة الطفل، وعن طريقها يكتشفُ العالمَ، ويـدركُ كل ما يـدور حوله... ولعلنا في النهاية نعاتب صبحي سعيد لأنه قدم لنا مجتمعاً طفلياً مثالياً، فأبرزَ صفات إيجابية لهذا المجتمع، بينما أغفل ذكر أي جانب سلبي، وفي هذا انحياز واضح للسلوك الذي يريد هو أن يكون، لا للسلوك الذي هو كائن فعلاً.

الجلاء المجيد... ومنظوماتُهُ القيميَّةُ والمُقاومةُ

يوسف مصطفى

يصادف يوم 2012/4/17 م الذكرى السَّادسة والسِّتين لعيد الجلاء المجيد. كيف تقرأ الجلاء اليوم؟ ونستحضر قيمه، وأخلاقياته: إنَّ موقع الجلاء في الحياة الوطنية السُّورية موقعٌ هامٌ لاعتبارات نضالية، وأخلاقية، وقيمية تنتمي للضمير، والوجدان /والأنا الجمعي/ الوطني، والرَّمزية العالية.

الاستحضارُ الأول في معاني الجلاء هو: /العنوان المُقاوم/؛ فقد علمتنا مقاومة الجلاء.. إنَّ المعركة مع المحتلِّ ممكنة، وأنَّ الانتصار فيها قائمٌ عندما تتوفر إرادةُ المقاومة، وثقافتُها، ومناقبيتُها، وهذا ما أثبتته المقاومةُ، وتجارب المقاومة الأخرى. لم تكن مُقاومة المستعمر الفرنسي مناطقيةً أو فئويَّةً.. بل كانت تنتمي إلى الرؤية الوطنية، وثقافتها التشاركية، والاندماجية، ووعيها المسؤول.

حملت / مقاومةُ الجلاء/ المعيارية النضالية، وما يُسمى /التَّحدي والاستجابة/.. كانت الاستجابة بحجم التحدي وعياً، وإرادةً، وتضحيةً.. السِّمةُ النضالية الأخرى هي /السِّمة الشَّعبية/ فالمقاومون من الشَّعب، ومن فئاته كافة، وهذه سمةٌ حملت صدقها، وضميريَّةً ولأنها لتراب الوطن، وشرف تحرير هذا التراب.

كانت مقاومةُ الجلاء /مقاومة إحيائيَّة/ حضر فيها معاني : الوطن ـ الشَّعب ـ الهوية ـ الكرامة، كما حملت هذه المقاومة عواملَ / الثبات وعدم التردد/، وعامل/ الإرادة والصَّبر؛ حيث صمد مناضلو الثورات السُّورية ضد المحتل، وامتلكوا ما نسميه اليوم / ثقافة المقاومة/ ووعيها المسؤول، والإيمانية، والإرادة شرطان أساسيان في أي انتصار.

ونحن في رحاب الجلاء، لابدَّ أن نذكرَ / معركة ميسلون/ التي كانت شمعة المقاومة الأولى ضدَّ الاحتلال الفرنسي؛ لتمتدَّ المقاومةُ إلى كل ربوع الوطن.. حملت معركةُ ميسلون ما نسميهِ / شرفَ المسؤولية/؛ حيث كان وزير الدفاع /يوسف العظمة/ في حكومة الاستقلال الأولى بقيادة الأمير فيصل بن الشريف حسين.

ذهبَ /يوسف العظمة/ إلى ميسلون ليكتبَ صفحة المقاومة الأولى.. تحولت معركةُ ميسلون إلى قيمةٍ تاريخيَّةٍ، ونضاليَّةٍ، وتحولَ البطلُ /يوسف العظمة/ إلى أنموذجٍ، وبطلٍ قوميٍّ تقرؤهُ الأجيال.

يُقرأ الجلاءُ اليوم باستحضار معارك الجلاء، وماحملته من معانٍ سامية، وأبطال الجلاء وما قدَّموهُ؛ فالجلاءُ منظومةٌ قيميَّةٌ وأخلاقيَّةٌ، ووجدانيَّةٌ، ونضاليَّةٌ نقيَّةٌ، عفويَّةٌ صادقةٌ، وهي عنوانُ اندماجٍ وطني، وعنوان شعبي، وجماهيريّ.

يقرأُ الجلاء باستحضار قيم المسؤولية، وشرف ممارستها، والمسؤوليةُ هي مسؤولية الجميع وفي كلِّ المستويات الإداريَّة، والتربوية، والتنفيذية... إنها وعي المسؤولية.

يقرأُ الجلاء محطةً وطنية /لقراءة المرجعةِ، والتَّصويب في حياتنا، ومساراتنا، والاستعداد، والتنمية، وتأمين مستلزمات الصَّمود، والنُّهوض؛ فالجلاء حافزٌ لنهوضِ الأوطانِ، والأمة، وسفرٌ نقرأ فيه كلَّ أصيلٍ، وجميل لنؤسس، ونضيف.

يعلمُنا الجلاءُ محبةَ الشعب، وزيادة لحمتنا الوطنيَّةِ، والاهتمام بجماهيرنا، وفئاتها الفقيرة؛ فهي الأساسُ، والمُرتكزُ في معارك التحرير، والبناءِ.

نستحضرُ في الجلاء أغاني الجلاء، وأشعاره: حماةَ الدِّيار، ـ موطني ـ نحن الشباب ـ عليك مني السلام يا أرض أجدادي ـ يا ظلام السِّجن خيم. إلى أشعار / عمر أبو ريشة/ و/بدوي الجبل/، وشفيق جبري، وبدر الدِّين الحامد، وزكي قنصل/ وغيرهم، ماحملته هذه الأغاني والأشعار من الوجدانية، والصِّدق، والقرب من داخل الناس، وعواطفهم، وخطابَ الشَّهادةِ، والشُّهداء.

نستحضرُ في الجلاء معاركَ، اليرموك، والقادسيَّة، وعين جالوت، وحطين، وحرب تشرين وغيرها، لنربط مقاومة اليوم بمقاومة الأمس، وكلُّها في سبيل الكرامة، وتحرير الأرض، نباركُ شهداء الأمس، واليوم؛ فكلهم مناراتٌ على دروب التحرير والبناء، ونماذج في التمثل، والاقتداء.

يعلِّمُنا الجلاء إنَّ معركة بناء الأوطان بكلِّ مستلزماتها هي / المعادلُ الموضوعيُّ/ لمعارك الاستقلال، والكرامةُ، لأنَّها معركةُ بناء المستقبل، والقوة، فلا مكان لضعيفٍ في هذا العالم.

التحية للجلاء، ومعانيه، وشهدائه، فهو عيدُ الأعياد، وهو صفحةٌ مشرقة في نضال شعبنا، ووحدته الوطنية.

قضية الجلاء في الأمم المتحدة

سهيل الملاذي

مع تصاعد الثورات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي، تسارعت الأحداث على الصعيدين العربي والدولي، لتؤكّد على مكانة سورية الحديثة في المحافل الدولية، وعلى دورها كدولة مستقلة، تحتل موقعها بين دول العالم الحّر.

فقد وقّعت سورية في السابع من تشرين الأول 1944 على بروتوكول الاسكندرية، ثم اجتمع مندوبها مع مندوبي ست دول عربية (هي العراق والسعودية ولبنان والأردن واليمن ومصر) في القاهرة، ووقّعوا على ميثاق إنشاء جامعة الدول العربية، في 22 آذار 1945. وفي 31 آذار 1945، أقر مجلس النواب السوري هذا الميثاق.

نصت المادة الثانية من الميثاق على أنّ غرض الجامعة توثيق الصلات بين الدول الأعضاء، وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها، بما يصون استقلالها وسيادتها، ويحقق مصالحها في شتّى المجالات.

وبينما كان عدد الدول التي اعترفت باستقلال سورية يزداد باطّراد، كانت الحرب العالمية الثانية تمضي إلى نهايتها، تؤذن بانتصار الحلفاء على دول المحور (ألمانيا-إيطاليا-اليابان). وقد سعت الدول المنتصرة إلى تأليف منظمة عالمية، تؤسس لمرحلة ما بعد الحرب. واشترطت على الدول التي ستنضم إلى المنظمة أن تعلن الحرب على المحور، وهكذا فقد وافق المجلس النيابي السوري على إعلان الحرب في 1945/2/26. وبناء على ذلك تلقت سورية الدعوة لحضور مؤتمر سان فرنسيسكو في أواخر آذار 1945، وهو الشهر الذي أقر ميثاق الجامعة العربية.

صدر المرسوم 155، في 1945/4/10 القاضي بتشكيل وفد سوري إلى مؤتمر سان فرنسيسكو برئاسة فارس الخوري رئيس الوزراء، وعضوية نعيم الانطاكي وناظم القدسي وفريد زين الدين ونور الدين كحالة وتوفيق الهنيدي.

دامت أعمال المؤتمر ثلاثة وستين يوماً، وانتهت في 1945/6/26 بتوقيع ميثاق منظمة الأمم المتحدة. وشارك الوفد السوري في أعماله ونشاطاته وفي صياغة ميثاقه مشاركة فعّالة. وكان للاتصالات التي قام بها الوفد نتائج مثمرة، تمثلت في المؤازرة والتعاطف اللذين حصلت عليهما القضية السورية من مندوبي دول العالم.

نصت المادة الأولى من الميثاق على أهداف المنظمة الدولية، وهي صيانة السلم والأمن الدوليين بالوسائل السلمية، على أن تستخدم القوة عند اللزوم، وتعزيز أواصر المودّة الدولية، وإقامتها على احترام الحقوق المتكافئة، وتمكين الشعوب من تقرير مصيرها، وتحقيق التعاون الدولي في كل المشاكل الدولية من اقتصادية واجتماعية وثقافية، وتشجيع احترام الحقوق البشرية والحريّات الأساسية مندون تفرقة بين الأجناس واللغات والأديان، يتساوى في ذلك الذكور والإناث.

إنّ جميع ما أقرّه الميثاق من تدابير ستتخذها المنظمة للمحافظة على السلم ولمنع الاعتداء، والمبادئ التي قامت عليها فروع المنظمة وهيئاتها المتعددة، والصلاحيات التي أنيطت بها؛ قد عزّز آمال السوريين والشعوب الرازحة تحت نير الاحتلال، في الحصول على الاستقلال، ونيل الحرية.

خلال انعقاد المؤتمر تداعت الأحداث في سورية، فقد أصرّت فرنسا- على الرغم من اعترافها باستقلال سورية ولبنان- على الاحتفاظ بنفوذها وجيوشها في هاتين الدولتين، وردّت على المظاهرات والاحتجاجات التي عمت مختلف أنحاء سورية، بالقيام بعدوانها الوحشي على البرلمان السوري في 29 أيار 1945، وعلى مناطق أخرى في سورية.

لكنّ هذا العدوان جاء بنتائج تخالف ما أمل فيه الفرنسيون. فقد شجب العالم هذا العدوان، وتعاطف مع آمال الشعب السوري في الحرية والسيادة؛ بل لقد أثار استياء حلفاء فرنسا أنفسهم، ففي 1945/5/31 أرسل ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا برقيته المشهورة إلى الجنرال ديغول، وقد جاء فيها:

"نظراً للحالة الحرجة التي أدّى إليها الأمر بين جيوشكم وبين دول الشرق، ونظراً للقتال الدامي الذي يجري، فإنّنا أمرنا -بملء الأسف- القائد الأعلى في الشرق الأوسط، بالتدخل لمنع مواصلة إراقة الدماء. وذلك حرصاً على الأمن في الشرق الأوسط كلّه، الذي تجري فيه المواصلات للحرب مع اليابان، وتحاشياً للاصطدام بين القوات البريطانية والفرنسية، فإنّنا نطلب منكم أن تأمروا حالاً الجيوش الفرنسية بوقف إطلاق النار والعودة إلى ثكناتها. وحالما يتوقف إطلاق النار ويعود النظام، فإنّنا نكون مستعدين لإجراء محادثات ثلاثية في لندن".

وقد دعمت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها ترومان موقف بريطانيا. وبالفعل فقد توقف العدوان، وبدأ الجيش الفرنسي بالانسحاب بحماية الجيش الانكليزي، وتجمّع في لبنان، بينما بقيت القوات البريطانية مرابطة في سورية.

اجتمع مجلس الجامعة العربية واتخذ قرارات حازمة داعمة لسورية. كذلك أثار العدوان الفرنسي استياء دول العالم المجتمعة في سان فرنسيسكو، وتحولت عواطفها عن فرنسا، باتجاه تأييد موقف الوفد السوري وبقية الوفود العربية نحو القضية السورية.

ولسنا هنا بصدد تحليل موقف بريطانيا والولايات المتحدة من العدوان الفرنسي، ولكنّه بالتأكيد كان خاضعاً لتأثير مصالح هاتين الدولتين في المنطقة على المدى البعيد. فقد فوجئ السوريون واللبنانيون بعقد اتفاقية بين انكلترا وفرنسا في 1945/12/13، تنصّ على بقاء قوات أجنبية كافية للمحافظة على الأمن، إلى أن تقر منظمة الأمم المتحدة تنظيم الأمن المشترك في هذه المنطقة. مما أعاد القضية خطوة إلى الوراء.

وكان فارس الخوري قد تولّى رئاسة الوفود السورية إلى منظمة الأمم المتحدة، منذ تأسيسها في عام 1945 (إضافة إلى ترؤسه مجلس النواب السوري)، وتولى الدفاع عن القضية السورية والقضايا العربية، وقضايا السلم والعدل والمساواة، أمام الجمعية العامة ومجلس الأمن.

ففي الدورة التي عقدتها المنظمة في لندن، بين 1945/12/14 و 1946/2/18 كان موضوع الاتفاق بين انكلترا وفرنسا حول بقاء قوّات أجنبية في سورية ولبنان حاضراً، فقد ارتفع صوت الوفدين السوري واللبناني بالاحتجاج على هذا الاتفاق الذي يشكل خطراً حقيقياً على الأمن في المنطقة. وعرضت سورية ولبنان شكواهما على مجلس الأمن، الذي بدأ جلساته في لندن في 1946/1/17، في أثناء انعقاد دورة الأمم المتحدة فيها.

وجّه فارس الخوري وحميد فرنجية كتاباً إلى الأمين العام للأمم المتحدة في الرابع من شباط جاء فيه:

"إن الجيوش الفرنسية والبريطانية ما تزال موجودة في سورية ولبنان بالرغم من أنّ حالة الحرب قد انتهت (انتهت الحرب مع ألمانيا في 1945/5/8، ومع اليابان في 1945/8/14)، ممّا يشكل مساساً خطيراً بسيادة الدولتين العضوين في الأمم المتحدة، وقد يؤدي إلى منازعات خطيرة تهدد السلام بصورة دائمة في هذه المنطقة، وهذا ما برهنت عليه أحداث 29 أيار 1945. وبدلاً من انسحاب الجيوش الأجنبية فور انتهاء الحرب، فوجئت حكومتا بلدينا باتفاق 1945/12/13 الذي يتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وروحه. وبناء على ذلك فإن حكومتينا تطلبان عرض هذا النزاع على مجلس الأمن، وفقاً للمادة 34 من ميثاق الأمم المتحدة، وترجوان أن يتخذ قراراً بطلب جلاء الجيوش الأجنبية التام وفي وقت واحد من أراضي سورية ولبنان.

وافق مجلس الأمن في جلسته التاسعة عشرة في 14 شباط 1946 على البحث في طلب سورية ولبنان. وفي الجلسة العشرين في اليوم التالي تحدث مندوب سورية فارس الخوري بالانكليزية، وتكلم مندوب لبنان حميد فرنجية بالفرنسية، وعرضا المشكلة من جوانبها كافة، ووضعا أمام المجلس الحجج القانونية والأسس الشرعية التي تؤيد حق سورية ولبنان، وطالباه

باتخاذ قرار واضح وحاسم يلزم القوات الأجنبية بالجلاء عن أراضيهما.

وتحدث في هذه الجلسة أيضاً مندوبا فرنسا وانكلترا.

أما مندوب فرنسا بيدو فأبدا دهشته من طلب الوفدين السوري واللبناني، وأشاد بفضل الفرنسيين والانكليز في دعوة سورية ولبنان إلى مؤتمر سان فرنسيسكو، وبدورهم في المحافظة على سلامة البلدين، وإنقاذهما من ويلات الحروب. مكرراً الادعاء بالاستعداد لسحب الجيوش الأجنبية منهما، ولكن بعد اتخاذ التدابير الدولية الضرورية من قبل الأمم المتحدة لإقرار السلامة العامة في المنطقة (وهو ما ورد في اتفاقية 1945/12/13، بين انكلترا وفرنسا).

وأمّا مندوب انكلترا الكسندر كادوغان فذكّر بتدخل بلاده لإنهاء العدوان الفرنسي نهاية أيار 1645، وبأنّ حكومته –منعاً لما قد يحدث من اضطرابات في المستقبل- أكّدت للحكومتين السورية واللبنانية بأنّ الجيوش البريطانية لن تنسحب من بلادهما، ما دامت هناك جيوش أجنبية أخرى باقية (ويقصد بها الجيوش الفرنسية).

في الجلسة الحادية والعشرين لمجلس الأمن التي انعقدت في مساء اليوم نفسه 1946/2/15، ردّ حميد فرنجية على مزاعم المندوب الفرنسي قائلاً: إنّ الاعتراف باستقلال سورية ولبنان لم يكن عطفاً مجرّداً، وإنّما كان عملاً منصفاً، كما أنّه كان عملاً حيوياً لأجل الجهد الحربي. وأضاف: إن الدول المشرفة على مؤتمر سان فرنسيسكو لم تكن لتدعونا إلى المؤتمر لو أنّها لم تعتبرنا دولاً مستقلة ذات سيادة، ولها الحق والامتياز بتوقيع ميثاق الأمم المتحدة. أمّا الذي أنقذ بلادنا من الحرب، فهو المقاومة والجهود المشتركة للجميع، التي ساهم فيها الفرنسيون، وليس وجود الفرنسيين فيها. ونهض فارس الخوري فوافق على كلام حميد فرنجية.

وقال ستاتينيوس مندوب الولايات المتحدة: إن سياسة حكومته هي تشجيع الانسحاب السريع للجيوش الأجنبية من أراضي أية دولة مشتركة في الأمم المتحدة ومحتلة أثناء الحرب، إذا رغبت حكومة تلك الدولة انسحابها. ووفقاً لهذه السياسة فإنّه يعبّر عن أمل حكومته بأن تجاب رغبات الحكومتين السورية واللبنانية بانسحاب الجيوش الأجنبية من بلديهما في أول فرصة ممكنة، وأن يكون ذلك عن طريق اتفاق متبادل مرضٍ.

انتقد فيشنسكي مندوب الاتحاد السوفييتي سياسة فرنسا ومطالبها انتقاداً لاذعاً. وقال: إن تأمين المصالح الثقافية والاقتصادية والاستراتيجية لفرنسا في المنطقة، (وهو ما ورد في مذكرة الجنرال بينيه المسلمّة لحكومتي سورية ولبنان في 1945/5/18) لا يتم بمساعدة القوات المسلحة. وهي الشروط نفسها الذي ما زال يكررها حتى الآن، مما يدل على عدم حصول تغيير في السياسة الفرنسية تجاه المنطقة.

الصين على لسان مندوبها ولنجتن كو اقترح إجراء مفاوضات بين أصحاب العلاقة لوضع الترتيبات العملية للانسحاب، مع إطلاع المجلس على تقدم المفاوضات ونتيجتها.

ممدوح رياض مندوب مصر قارن بين مبادئ ميثاق الأمم المتحدة القائم على المساواة في السيادة بين الدول الأعضاء في المنظمة الدولية، وبين ما يقابلها من اعتبارات سياسية ومعنوية؛ بل وانتهازية تمثل موقف فرنسا.

أيّد مندوب بولونيا مطالب وفدي سورية ولبنان. كذلك أيّد مندوب البرازيل إجراء مفاوضات تؤدي إلى جلاء القوات الأجنبية. ووافق مندوب هولندا على القيام بمفاوضات تنسحب بنتيجتها الجيوش الأجنبية في وقت قريب.

في 1946/2/16 عقد مجلس الأمن جلستيه الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، وهما الجلستان الثالثة والرابعة لبحث قضية الجلاء.

في الجلسة الأولى:

عدّ مندوب المكسيك باديا نيرفو طلب سورية ولبنان طلباً عادلاً محقاً. ورأى أن يحدد موعد الجلاء بنتيجة المفاوضات بين الأطراف المعنية بعلم مجلس الأمن.

وقال حميد فرنجية: إذا كان قرار المجلس هو إجراء المفاوضات، فيجب وضع أساس واضح لها.

وقال فارس الخوري: يجب توضيح المبادئ والأسس التي تنطوي عليها المفاوضات وأضاف: لكّن الجلاء لا يحتاج إلى مفاوضات، فليجلوا عن بلادنا دون استشارتنا وبدون مفاوضتنا، ونحن لن نضع أي شروط بشأن الأمور الشكلية، ولن نقاوم مبدأً نطلب تطبيقه بإلحاح. كما أنّ الجلاء عن جميع بلدان العالم يتم دون مفاوضات.

ورد فارس الخوري على ما ذكره مندوب انكلترا بالأمس، من أنّ المقصود من بقاء الجيوش البريطانية هو منع الاحتكاك بين الجيوش الفرنسية وسكان سورية، ومن أنّ الفرنسيين سوف لا يغادرون سورية ما لم يغادرها الإنكليز؛ فقال إنّ كلاً من الفرنسيين والإنكليز يخشى أن يأخذ مكانه الآخر، وإن كلاّ منهما مقيم ليرقب الآخر، وهذا الوضع يذكرني بقصة القنديل الأحمر الذي نصب في وسط أحد الشوارع. فسأل أحد الناس: لماذا نصب قنديل أحمر هنا ؟ فأجيب نصب لكي لا يعثر أحد المارة بالحجارة التي نصب عليها. ثم سأل: ولماذا وضعت الحجارة ؟ فقيل له: إنها وضعت لكي ينصب عليها القنديل الأحمر. إن هذا يشبه الوضع الذي نحن فيه. إنّ قضيتنا بسيطة وواضحة جداً، فإذا أزيل السبب فإنّها ستحلّ. ولا حاجة لمفاوضات تجعلها معقدة.

إنّه يكفي أن يوصي مجلس الأمن بأن يتم الجلاء ضمن وقت محدد، وأن تبقى القضية على جدول أعمال المجلس حتى يتم الجلاء.

وبعدئذ أبدى عدد من المؤتمرين آراءهم في موضوع الجلاء، ومنهم مندوب مصر الذي رغب بأن تجري المفاوضات لبحث التفاصيل الفنية فقط لتعيين موعد الجلاء. الأمر الذي سبق أن اقترحه مندوب المكسيك؛ أما مندوب فرنسا فكرر ما قاله سابقاً عن التضحيات التي قدمتها بلاده فترة الانتداب، وانتقد الخطباء الذين يلومون فرنسا على مواقفها، ومنهم مندوب انكلترا الذي وافق على اقتراح هولندا في الدخول في مفاوضات من أجل الجلاء، مذكراً بفضل بلاده في وقف عدوان أيار 1945. ومنهم أيضاً مندوب لبنان الذي ذكر بأنّ مسؤوليات فرنسا تجاه سورية ولبنان بموجب صك الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم المتحدة عام 1919 قد انتهت، وأنّ الانتداب في نظر سورية ولبنان قد مات ودفن منذ توقيع ميثاق الأمم المتحدة. وانتقد غموض المطالب التي قدمت بشأن المفاوضات، وخصوصاً شروط مقترحات مندوب هولندا.

ثم عاد فارس الخوري فأشار إلى أنّ بلاده لا يمكنها الدخول في أي مفاوضات تحت ضغط القوات الأجنبية الموجودة في أراضيها. وانتقد مجدداً اتفاق 1945/12/13، فقال إنه يتناقض مع ميثاق الأمم المتحدة. أما السلامة العامة التي وردت في الاتفاق فلا يمكن اتخاذها أو تنفيذها إلاّ وفقاً للمادة (106) منه، التي تحدد طريقة ضمان السلامة المشتركة، وتتم بالتشاور مع سورية ولبنان، وهو ما لم تراعه فرنسا وانكلترا عند توقيعهما الاتفاق. وانتهى إلى القول: إنّنا غير مستعدين للدخول في مفاوضات تتعلق بموضوع غير موضوع الجلاء نفسه.

ثم تكلم مندوب الاتحاد السوفييتي فطالب مندوبي فرنسا وهولندا والولايات المتحدة بتحديد نوع المفاوضات التي ستجري، وإلاّ فإنّه لا يمكن ضمان النجاح.

الجلسة الرابعة:

اقترحت تعديلات مختلفة على اقتراح المندوب الأمريكي، منها ما اقترحه مندوب لبنان بأن تكون المفاوضات فنّية فقط حول تحديد الموعد النهائي للجلاء، من دون أي مسألة أخرى. وهو الاقتراح الذي أيده مندوب الاتحاد السوفييتي. مذكّراً بأنّ الموضوع موضوع نزاع، فيجب أن لا تصوّت عليه الدول صاحبة العلاقة. وكذلك أيدته مصر. وبعد مناقشات ومداولات كثيرة قبل المجلس مبدأ جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضي سورية ولبنان. وأعلمت فرنسا وانكلترا مجلس الأمن أنّهما ستستجيبان لرغبته.

جرت المفاوضات في آذار 1946، وأعلنت الدولتان عن موعد جلاء قواتهما، التي بدأت بالانسحاب بسرعة، إلى أن تمّ الجلاء عن سورية في الساعة العاشرة من يوم 15 نيسان 1946. واحتفلت سورية بهذا الحدث التاريخي في 17 نيسان 1946 ، واعتّبه عيداً قومياً.

أما لبنان فقد احتفل بالجلاء التام في 1946/12/31

حنان درويش

آثرت الرحيل

إنها الغربةُ لم تهبكَ إلا الحنين، ووجيبُ قلبك يبهرُ الأسماع، فيصحو الآخرون على صوتٍ يوقظُ الملأ شجوهُ. في أوج الضحوة وصلت إلى الوطن. حفنةً من التراب قبّلتها أصابعُكَ المشدودةُ على ذرّاتٍ تتمرّغُ فوق وجهك، تليها حفناتٌ أخرى من ثرى أرضٍ خيّروك بينها وبين ألقٍ يشعُّ هناك، فارتأيت الرحيل تحمل أحلامًا ودهشةً تتشبث بها إلى حينٍ كتشبثٍ بالوهم والخيال. فارقت الدار والأحباب، ورحت إلى البعيد، ولم تترك لعينيك وقتها فرصة التزوّد بما يتحف الذاكرة، ويغني أيامك الآتية. كالطيف المسافر انتقلت إلى مهجرٍ غريب الروح واللسان، له نافذةٌ تُطلُّ على الانزواء، وجدرانٌ لا تقي من صرير الريح، والريحُ هناك تكنُس كلَّ شيء.

بعد زخمٍ من الأعوامِ رجعت. خلعت الغربة من جذورها، وعلقتها على شجرةٍ مرزوعةٍ قرب نهرٍ بعيد. ارتديتَ خطوات الإياب متدثراً بالحبِّ مع أوّل قافلةٍ لوَّحت إليك. أمرٌ بهيجٌ أن تعود وقد أشرفت على الخبوِّ، وكادت قبراتُ الرأس تضج من ملٍ في فضاءٍ يستثيرُ ألف سؤال. شيءٌ يشابه الاندهاش أن تتيقظ الأفياء فيك، وترنو إلى ذكرياتٍ أصيلة. تدعوك إلى زيارة قبر صديقك الشاعر. تقبّلُ الغبارَ المعلقَ على جسد الطفل النائم هناك.

تبكي بحرقةٍ. يحتشدُ المكان بآهاتكَ الثكلى. تجول عيناك عبر المدى. يستيقظ الماضي كأنّه لم يزل طازجاً. تقلّبُ أوراقه وحروفه، فتراها تشكّل اسم المرأة التي أحببت. يرتفع وجيب قلبك. يحرّضُ جناحيك على التحليق، على التصفيق. تفوز بارتفاعٍ عن الأرض. تطير بانسيابٍ لتصل بيتها الغافي فوق تلة. تطرقُ الباب فيجيبك عبقُ عطرٍ قديم:

ـ أهذا أنت؟!.. في أي القطارات أتيت؟!.. أين هداياي المشبعاتُ برائحة البهار؟.

لم تجبها.. فتحتَ حقيبةً كنتَ قد أوصدتها منذ أيامٍ بعيدة. غطيت جفنيك بارتعاش الحلم. تلعثمت بين علامات الاستفهام وعلامات التعجب، ثم ركضت إلى بحيرة الصقيع تغيّب فيها شهباً لا يبين منها سوى ومضة انتظار.

وحدك جئت.. من غياهب الماضي تعانق الهزيع الأخير، وبعض التردد. يخرج صوتك من بئر صمتك، لا كما كان صحيحاً معافى قبل الرحيل، تغادره النجوم نجماً فنجماً، وتسقط منه الحروف حرفاً فحرفاً، تحاول الكلام:

«إنها الغربة أحبطت مبتغاي، وقصّت جناحي، وسرقت مني صباحات الوطن، وأوراد الوطن. لم يبق في قامتي غير نثار الشوك، وأما الهدايا التي تذكرين.. فهاك ضلوعي خذيها حزينةً ومتعبةً، وأوقدي لانطفائها مصابيح الشماتة. هاك يدي حديقة الرياح والشحوب وصمت الفيافي».

في الغربة كنت تتهجّى أنفاس الحبيبة، تخالها تمشي معك من سوق إلى حي، ومن حيّ إلى زقاق، ومن زقاق إلى ساحة، ومن ساحة إلى مفارق المقاهي والتسكع المتماهي مع شعاع الأمكنة. تهزجان، تزقزقان، تُطربان حزناً، وتبكيان من فرح، وتركضان مثل طيفين يحصدان العُمرَ من المنبع إلى المصبّ، إلى آخر جدولٍ في حسابات الحياة.

«يا وردة الورد.. يا زهرة الجرد..».

تناديها.. وأغاني سهرة حب لا تفارقك.. تنام بين أشيائك وثيابك وضباب غربتك وكلمة «لا تسافر». تنام بجوار الأغاني، تلفحُ وجهك، وتسوطُك بعصا غليظة.. وعندما تشكو الوحدة تهفو إلى ظلٍّ يطوف بك من بيتك الشمالي.. إلى بيتها الجنوبي، تبكي اشتياقاً لبردى وإن جفّت مياهه. تسلم غابة الزيتون في عينيها مفاتيحَ ضياعِك. علك تعود إلى الوطن، فتلقاها مسكونةً بلهفةٍ وكمٍّ من الغفران.. لكنّك حين رجعت حاورتها قرب انبلاج النهاية، وحاورتك.. بل ساءلتك: ـ أهذا أنت؟ في أيّ القطارات أتيت؟ واستفسرت عن الهدايا المتبلة بالبهار، ووجدتك على غير ما كنت عليه.. تائهاً في الصيف ضيّعت اللبن، وفي الشتاء أضناك السأم.. وأما هداياك إليها فكانت قصيدةً محزونةً، وسُعفَ نخلة. حينها راودتها نفسُها بالابتعاد.. فلا أنت أنت، ولا الذي سافر منذ أعوام هو الذي عاد.

بانت سعاد

يوسف الأبطح

بانت سعاد خلف نافذتها بعد غياب بنصف قلب في صدرها مشطور.

لا ليس شعراً أو تماهياً مع قصيدة كعب ما أنوي قوله؛ بل من حرقة على أم زهير، أم الحي كله، أمنا جميعاً، أم كل الأولاد والبنات فيه الكبار قبل الصغار، جلست خلف نافذة بيتها المرمم حديثاً مثل كل البيوت في الحي صامتة شاخصة بعين واحدة وأخرى سهوك متعبه، تقاسم الأحزان نصيبها منها، تبدأ معها جولة جديدة في صراعها مع الذكريات والأمراض المزمنة التي حطت أحمالها في جسدها الذاوي، ضغط الدم والسكري والاحتشاءات المتنوعة في القلب والشرايين وبعض الأطراف.

علب الأدوية المنوعة مرصوفة عند النافذة بتناسق الأحجام والألوان والمواقيت. أدوية الصباح في الجهة الشرقية، الظهيرة في الوسط، وأدوية الليل في الجهة الغربية من النافذة المطلة على مابقي لها من حياة في هذه الدنيا.

سمعتها حين كانت معافاة في أحد الأماسي تقول من حرقه وألم لمن حولها..

لو كان بمقدورها الطلب من ربها إعادة خلقها وتكوينها من جديد، لطلبت أن تكون هي ثانية، لكن مع بعض التعديلات الطفيفة التي لا تضير في شيء...

أن يكون لها ولو جزء يسير من الحرية، حرية اختيار الأشياء، لا أن يفرض عليها كل شيء، الأب والأم والأخوة، البيت الذي تقيم فيه، الغرفة السرير، الطعام الذي تأكله، الكلام الذي تقوله، الدفتر الذي تكتب عليه، وآخرها الزوج والأولاد والأمراض والذكريات المريرة.

كان المطر في الليلة المشؤومة هطلاً وتهتاناً، بعض زخاته الجانبية تضرب زجاج النافذة القديمة كمن تود تحطيمه، تدفعها ريح عاتيه، باقية من عاصفة سهوج ضربت المنطقة في غفلة من طبيعتها الهادئة، انقطاع التيار أحلك كل شيء، الوجوه والأطراف والجدران، فرض عليها السواد لوناً، والشلل حاله دنف يومية.

وميض البرق وصوت الرعد، اختلطت بأصوات تشبهها تسمع من جهات عدة على شكل رشقات تزرع الرعب في حمه سواد منطقة الوعر دون تمييز.

الاحتقان بلغ أشده عند أم زهير، أكوام سنين وركام أيام لا لون لها لا طعم لا رائحة، مليئة بالقهر والسحق طفت على السطح، تدفقت طوفاناً جارفاً، جرف طمي وأوحال أربعة عقود ونيف من الاغتصاب الروحي والجسدي، بانتظار الموت تحت سقف لم يتبدل ولم تتبدل معه رتة لسانه وشتيم خلقه، لا ذكر لاسمها على لسانه إلا إن كانت المائدة غير معدة، أو كان البيت قذراً وكأنها المكنسة فيه، شهاداتها الدراسية راقدة رقادها الأبدي في درج مكتبه المقفل على أسراره التي لم تكن تعرف عنها شيئاً.

قطع رأس القط قبل يوم الزفاف بكثير أخرسها، وأخرس أهلها وكل من حولها بمكانته وبما يمتلك..

ثلاث وأربعون سنة من النابليونية القذرة لم تنل منها، لم تنجرف بها مثل غيرها من نساء أصحابه، فضلت عليها القهر والسحق والاغتصاب الذي أثمر عن ثلاث مسحوقات جدد، وغاصبون بشهادات جامعية لا ثقافة لهم يتحدثون فيها غير ثقافة الامتلاك والتسلط، أنكرت أمومتها لهم من سنين، لا تأكل طعامهم، لا تشرب ماءهم، لا تتنفس هواءهم. كانت تهم بالخروج قادمة إلينا ترتدي معطفها الاسود الذي تحبه ويكرهونه، سمعته يهسهس لأولاده، يأمرهم البقاء في البيت، عدم الخروج منه مؤقتاً، الاستعداد لمغادرة البلد، تركها للرعاع والأوباش ليفعلوا بها ما يشاؤون.

اقتحمت عليهم الغرفة فزعة، وقفت أمامهم جامدة شاخصة، استعرضت وجوههم الواحد تلو الآخر، تبحث فيهم عن شيء يخصها، شيء منها لم تجد، بحثت عن شعرة عن خلية، عن قطرة حليب نزه ضرعها في فم أحدهم، لم تجد، كانت على وشك الانهيار، حاولوا الإمساك بها، صاحت في وجوههم تمنعهم من الاقتراب منها، خرجت تسندها الجدران، صفقت الباب خلفها صفقه سمع صداها التاريخ، لم تبتعد كثيراً عن الحي والبيت، التمعت قذيفة انطلقت من إحدى الزوايا اخترقت الباب الذي صفقته وانفجرت داخله.

الصمتُ والمكان

شاكر مطلق

في البَدء كان الصمت
محنطاً من قطرةٍ
من صمغ كهرمان
كأنه فراشةٌ
جاءت من السديم
من خارج الأزمان
كي توقظ المكان
بلمسةٍ سحريةٍ
من دون ما كلام..

هل كان في الفضاء
بحرٌ من الضِّياء
أم ظلمةٌ كثيفةٌ
في قاعهِ العميق

من نبعها تفور
عصارةُ الأشياء؟...

هل ثارَ من زمان
عقلٌ من الأثير
كأنه البركان
يصبُّ في الزمان
من فكرهِ العتيق
بداية الطريق للمكان
ويرسمُ الحدود
- في عالمٍ مغلَّقٍ -
بالموتِ والوجود؟!...

الطِّينُ
أينَ الطين؟
هل كانَ من هشيم

مبعثراً، مُمَزقاً
في هوجةِ الإعصار
أم مسَّهُ التَّيارُ في الفرات
ألقى به مُكبلاً
في وحشةِ الفلاة
فكانت الحياة
هزيلةً نحيلةً
كالرِّيحِ في الشَّتات
وفي مدى أغصانها
- في الظِّلِّ والمكان -
تكوّنَ الإنسان؟!...

من بعد أن عَدا
- في ثوبِهِ الرّقيق -
شكلاً على التُّراب
وسارَ في الطرق

كي يتبعَ السراب
في بحثه عن ذاته
عن عشبةِ الخلود
تراهُ كان حالماً
أم عالماً - لبرهةٍ -
بلعنة الوجود
فصاحِ في الطريق
وخلفَه الحريق
مُسائلاً أوهامهُ
- في لحظةِ البريق -
عن سرِّه العتيق
عن رِحلةٍ عبثيةٍ
في عالمٍ غريق
بالشرِّ والجنون
ومن ترى أكون
يا غافياً في قطرةٍ
من صِمغِ كَهرَمان
يا لاهياً، يا عابثاً
بالصّمتِ والوجود؟!..

حيرةُ النملِ

خلدون عماد رحمة

أحِسُّ بنملٍ كثيفٍ يفتتُ قلبي
يهدِّمُ صرحَ الهدوءِ بآلاءِ روحي
يدبُّ بظلٍّ مهيب الحواسِ
ويفضحُ أسرارَ دمعِ البنفسجِ في مهرجانِ عروقي
تُهلوسُ أشباحُ شرقي وغربي
ويبزغُ من بين أحراشِ جسمي
أساطيلُ رُعبي
أنا فزعٌ من تخبُّطِ صاريَتِي
لأني أجنُّ إذا ضيَّعتني سفينةُ حبّي
أصيحُ وصوتي مَطارقُ رعدٍ
تشقّقُ صخر البعيدِ البعيد
ويا ليتَ يسمَعُ من بِقُربي
سَأحلِفُ بالمعجزاتِ لكم
وأقسم أني أحسُّ بنملٍ بغيضٍ
يدوِّخُ طيرَ الزمرُّد في كأس خَمري
يقصُّ صناديقَ عمري
يفكّكُ ضوءَ الرموزِ النبيلةِ
في بهو جُوعي العريق
أصارحُ نفسي :
أهذا جُنوحٌ عن الواقعِ المُنطوي في مسرحِ الذاتِ ؟
أم أن حُلمَ الوصولِ مَحاهُ سرابُ الطريق ؟
أهذي صِفاتُ الوحيدِ الشَغوفِ بماءِ الحريق
أيقلقُ إنسانُ هذا الزمانِ
منَ النملِ والنملُ تأويلُ
سرٍّ عميق
ولكنَّ نملاً مقيتاً يزلزلُ فِضَّةَ رأسي
ولا أتحاذقُ بالاستعاراتِ
نملٌ
يُقهقِرُ ليلَ الكمنجاتِ في صفو صدري
يذوِّب أطلالَ من سَهِرُوا فوقَ جسرِ رُؤاي
يهزهزُ صخر قِلاعي
وتهرعُ قداسُ غابتي الحجريَّةِ والخيلاءُ بأرضِ سَماي
أنا فزعٌ
تكسَّر وهجُ المرايا
وشاخت عصافيرُ عطرِ الصبايا
وكل النساء بقريةِ صمتي
هَجرنَ مواويلَ أعراسهنَّ
وطرنَ عرايا
أحسُّ بنملٍ جَحودٍ عَنيفٍ دَؤوبٍ
ولا شيءَ يردعُ عنه العمل
أحاولُ نوماً أكابرُ ضحكاً
ولا يقتدي النملُ باسمِ الجدل
فتجتاحُنِي حِكمَةُ الألم /
ولو دخلَ النملُ في قلبكَ
تَهلك
وحالُ القصيدةِ موت أكيدٌ
إذا ما رميتَ عليها براكينَ نبضك..
وبعدَ هنيهةِ ذُعرٍ أهابت وجودي
أجمِّعُ نفسي
بصمتٍ
لأدركَ أنَّ الدبيبَ ارتحل
فأغدو كما كنت مثل جميع البشر
نملةً
تحبُّ الحياةَ وتُفنَى
لأجل فُتاتِ الأمل

صورة على الجدار

عمر فوزي نجاري

فرض عليها أن تعيش من دون رجاء، وأن تموت ببطء، لتبقى مجرد ظل لاحول له ولا قوة، ولكنها غالبت خيبتها بالرجاء، ووجدت في الصبر مدخلاً للأمل المفقود، فقد كانت كمن خرج من السجن للسجن؛ فهي ليست سوى مجرد رقم أضيف إلى تعداد سكان تلك البلدة الصغيرة المنعزلة، التي أصبحت سجنًا لها، بعد أن ارتبط مصيرها بمصير زوجها الذي أجهز على آخر نسمة أمل لها من خلال إقامتهما في تلك البلدة النائية ذات الريف الجميل، بلدة تنعم بالحياة فيها إذا كنت بقرة أو عجلاً أو خروفاً.

حقًا الغربة كآبة، فقد ترتب على إقامتها في تلك البلدة عزلة تامة وبعد ناء عن الأهل والأصحاب، مما دفع بدموعها إلى التفجر كالينابيع التي تشق دروبها عبر الصخور؛ فهي لا تجد غير ما تكره، أما هو فكان يؤمن بأن الحياة في تلك البلدة أفضل بكثير من حياة المدينة؛ فالعزلة والابتعاد عن الناس سلامة للفكر وراحة للبال، كما أنّه لا يمانع في أن تقوم بزيارة أهلها في المدينة بين الحين والآخر على أن يتم ذلك برفقته.

إذا كان نومها على حرير سرير الزوجية قد أفقدها وعيها، وجعلها تعيش أحلامًا لذيذة في مستهل حياتها الزوجية، فإنها سرعان ما صحت على نفسها لتعاني من أحلام الشوك، وقد لمعت بين يديها صور الماضي ولقطاته، واندلعت ذكريات السعادة والمرح يوم كانت عصفورة طليقة الجناحين في بيت أبويها في حيّها وبلدتها وبين أهلها وأقرانها.

لم تعد تملك غير ذكريات الماضي لتبعد عنها همَّ الحاضر وغمه، ذكريات لم تعد تقدر على الإفلات من سطوتها.

وعلى الرغم من تلبيته لطلباتها، إلا أنّها كانت تشعر بالغبن والوحدة والضجر؛ فهي بحاجة إلى من تتكلم معه وتسامره، بحاجة إلى أن تغادر غرفتها لترى الطبيعة والبشر والحجر..!

وبدأت تلوح في الأفق بوادر صراع سري ثم علني بينهما، وكان عليها أن تهيئ المناخ المناسب لتطلب منه ما يجول بخاطرها، ذلك أنها لم تكن تجرؤ على طرح الفكرة..... وبكلمات هادئة ورصينة ونظرات ملؤها الرجاء والأمل، عبّرت عن مطالبها بتأمين حياة اجتماعية سعيدة، محاولة التوفيق بين رغباتها ورغباته في المحافظة على العادات المتعارف عليها.

اعتراه شعور بالذنب والتقصير تجاه زوجته التي كانت تمر بأزمة نفسية، مما جعلها تشعر بالغبن والوحدة والضجر، وأن من أولى واجباته الزوجية تجاهها العمل على اقتلاعها من الأسى وزرعها حيث السعادة والمنى.

فكر طويلاً، فهو لا يريد أن يصمّ أذنيه عن مطالب زوجته ورفيقة دربه في هذه الحياة، ولا بد من وسيلة لتروح بها عن نفسها وتشغل بها عن التفكير بحالها ووحدتها وغربتها.

عصر ذلك اليوم عاد إلى البيت بخطا ثابتة ونفس واثقة ورأس مرفوع، فقد أمن لزوجته ما تريد وتبغي، صاحبة تسليها وتلهيها عما هي فيه من غربة وكآبة.

نظرت إليه بعينين مشدوهتين وقد تسمرت في مكانها وعقد لسانها.

ويبدو أنه لم يلحظ الدهشة التي اعترت زوجته وهو يدخل البيت بصحبة بقرة لا فارض ولا بكر..!

لقد اشتريت لك صديقة مخلصة ، إنها صاحبتك في غيابي تتسلين بها، تنسيك غربتك وترفع عنك كآبتك وتلهيك عما في نفسك..

إن جل ما تخشاه انهيار عرش الزوجية في لحظة وعي منها؛ لذلك كان عليها أن تدفن جثث أحلامها، وأن تنصاع لرغباته وتبقى مطيعة له كالظل، ولا خيار آخر لها ؟!..

كان عليها أن تصمت عن واقعها الذي تحياه، ولكن مقابل ماذا؟!.

مقابل بقرة ؟!.

نظرت إلى صورته المعلقة على الجدار، وتوجهت إلى نفسها قائلة:

حقًا، ثور كهذا لا تعلق صورته سوى بقرة!.

أنتِ يا حَسنا

عبد الكريم شمس الدين

علّميني
كيف يا حسناء للحب أغني
وازرعيني
في مدى عينيكِ أحلامي
وأوهامي.. وظني
وابعثيني
من يباس العمر مُخضّر
رطيب العود أندى بالتمني
وخُذيني
لا يظل الحبُ في غربتهِ
يسألُ عني
أنتِ يا حسِناء إن جاء الهوى
خمري.. وديني
* * *
شعرك المغزول في الشمسِ
كموج من سنابل
زرعتهُ الريحُ في كفي
عبيراً وخمائل
ظفرته خصلاً لاهثة البوح
كأحلام الجداول
ليِّنَ الملمس يلهو
مثلما الطفل بأطراف الأنامل
أو كما ترتاح في الظلِّ
من الرحلة أسراب البلابل
* * *
والفمُ الرطبُ الجنى
شفتان
ـ شفة تزرعني رجعَ عِنا
وشَفَه
في اختصار العمرِ
باتَت مسَرِفَه
تنهلُ اللَّذة من ثغر ونَحرِ
وأنا بينهما ضيُّعت أمري لستُ أدري
أغداً ألقاهما أم لا
لستُ أدري
همَّني أن يبذلاني الحبَّ
ما شاء الهوى
وَليفنَ عمري
أعدل الدنيا بعينيكِ بثغرِ
هُوَ إن جاعَ الهوى زادي وخمري
وَهو قلبٌ خافقٌ
أتعَبَ صَدري
غيرَ أني
سوف أهواهُ وأهواه
ولو أسرفتُ عَمري

إيقاعاتٌ مُلوَّنَة .. أيضاً

إسماعيل ركاب

1- حَيَاة :

لِلوردِ عِطرٌ تَنتَشي بأَريجِهِ..
هذي الجِهاتُ
والنَّاهضونَ مشاعلٌ..
كَم حارَ في إطفاءِ جَذوَتِها الطُّغاةُ
ومجازرٌ،
وحرائقٌ،
ودَمٌ يُراقُ ونازلاتُ
وعَصيَّةٌ تبقى على الموتِ الحياةُ!!

2- بُلبُل :

وأسألُ عنكِ..
رفيفَ انتِشاءِ البيادرِ..
حينَ يَحُطُّ النَّدى طافحاً..ماتعاً..
فوقَ لَهفَةِ نبضِ الحقول
ومؤَالَ عشقٍ..
يُرفرفُ فوقَ حنينِ القوارِبِ..
سِربَ نوارسَ..
يُعلنُ دِفءَ اقترابِ الوصول
وأسألُ عنكِ....
أَيُمكنُ أن يَبتَدي بُلبُلٌ..
حينَ قَطَّعَتِ الرِّيحُ..
أوتارَ عزفِ الهُطول؟!!

3- صَلاة :

على غُصُنٍ ذابلٍ في الحديقةِ..
غنَّى الهَزار
غناءً شجيّاً شفيفاً جليلاً:
أَيا ربَّنا في الأعالي أَغِثنا..
فَقَد ذَوَّبَ القلبَ هذا الحصار!!

4- العَبير :

تقولُ الحكايةُ : إنَّ العَبير
مَشى ذاتَ يومٍ بِكِبرٍ،
ورأسٍ يُطاوِلُ هامَ النخيلِ،
ومَرَّ على ضُمَّةٍ مِن أقاحٍ..
تَجَمَّعنَ صُبحاً على وَهدَةٍ ..
قُربَ ماءِ الغدير
يصيحُ: عُطورٌ..عُطور
ولَم يدرِ ..
أنَّهُ لولا انسِكابِ طُيوبِ الصَّبايا..
لَما كانَ يوماً على قَدَمَينِ يسير!!

5- عُصفورُ التِّين :

يُنَطنِطُ فوقَ الغُصون
يُغنِّي لِأُنثاهُ لحناً..
يُطَيِّرُ قلبينِ حتَّى حُدودِ الجُنون
ولَم يَدرِ ماخبَّأَتهُ..
وراءَ الصُّخورِ العُيون!؟

6- قافلةُ الحُرِّيَّة :

حَمَلتُ لِغزَّةَ إكليلَ غارٍ،
وسلَّةَ عشقٍ،

وبَلسَمَ جُرحٍ عميقٍ .. عميق
وكوكبةً مِن نُجومٍ ..
أضاءَت بِليلِ الطُّغاةِ ظلامَ الطَّريق
وغزَّةُ كانت تَحوكُ مِنَ الصَّبرِ ..
عُرسَ انتِصارٍ..
بِنبضِ الأُباةِ يَليقُ.. يَليق
وكُنَّا....
وكانَ رصاصٌ، وغدرٌ،
وموتٌ، ورُعبٌ،
وكانَ حريق
ومِن قَطَراتِ دَمي انبَجَسَت..
مِن مياهِ البحارِ مئاتُ السَّفائن..
تَحمِلُ روحَ التَّحدِّي لِغدرِ الغُزاةِ ,
ورايَاتِ نصرٍ ..
لِشعبٍ عريقٍ ..عريق!!

7- سُقوط :

إذا انفَلَتَ النَّجمُ مِن..
دِفءِ صدرِ المَدار
فأيُّ المداراتِ..
يَرفو جُروحَ رَمادِ انطفائِهِ،
أيُّ اشتعالٍ،
وأيُّ انهمار؟!

8- فَلاَّح :

تقولُ السَّنابلُ..
حينَ تَفيقُ طُيورُ البراري،
وتكرُجُ بينَ غلالِ الحقولِ ..
فِراخُ الحَجل :
لَكَ المَجدُ..
تَسري قُبيلَ انهمارِ الضِّياءِ..
على صفحةِ الكونِ؛
تَحضُنُ عطرَ تُرابِ الأراضي..
بِتَحنانِ قلبٍ يُكافحُ..
مِن غيرِ شكوى،
ودونَ مَلَل
لَكَ المَجدُ،
لولاكَ ما رَقرَقَت بَسمةُ الصُّبحِ،
أو أزهَرَت في رُبانا..
بُذورُ الأمَل!!

9- نَجمةُ الصُبح :

يقولونَ:
إنِّي أمُرُّ عليكِ صباحَ مساء
وأسرِقُ مِن راحَتَيكِ جُنونَ القوافي،
ومِن مُقلتَيكِ ازدهارَ الحُروفِ،
ومِن وَجنَتَيكِ السَّنا والسَّناء
يقولونَ....
ياليتَهُم يَعلمونَ بأنَّكِ نَجمَةُ صبحٍ..
تَرُشُّ على شاسعِ العمرِ..
بَذرَ العطاءِ،
ونُسغَ النَّماء
وكوكبُ دِفءٍ تُغنِّي لِعينيهِ..
كُلَّ صباحٍ طُيورُ البراري..
نشيدَ البقاء!!

10- خَيمَة :

صَباحُكِ فُلٌّ
وغيمٌ سخيُّ العطاءِ..
على بَيدَرِ القلبِ..
موسمَ خيرٍ يَهلُّ
صَباحُكِ وردٌ وطلٌّ
وقهوَتُكِ الآنَ قِصَّةُ عُمرٍ،
وخَيمَةُ عشقٍ؛
لَها أنتمي،
وبِها أستظلُّ!!

11- حَرف :

عانَقَ الحَرفُ هَمسةَ قلبينِ..
في لحظةٍ..
مِن جُنونِ الغرام
فَسَرَت رَعشةٌ في مدى روحِهِ،
بَرعَمَت ,
أزهرت،
فوَّحَت عِطرَها؛
طيَّرَتهُ،
وطارت بهِ،
فارتقى درجَ النُّورِ،
ثُمَّ استوى قمراً..
فوقَ عرشِ الكلام!!

12- عِطرُ البيلسان :

يقولونَ :
كَم يُزهرُ البيلسان
إذا لَمَستهُ الأيادي بِرفقٍ،
وعشقٍ، وبعضِ حنان!!
أقولُ :
وكَم تزدهي في الأعالي نُفوسٌ،
سَقَت تُربَ هذي الأراضي دماً،
واستحالت نُجوماً..
تُضوِّئُ أمداءَ هذا المكان
إلى آخرِ النَّبضِ تبقى،
ويبقى فخوراً بِعِطرِ دماها ..
كِتابُ الزَّمان!!

13- حالتان :

حَضَنَت طِفلَها امرأةٌ؛
شالَها السَّعدُ ,أو حَلَّقَت..
في الفضا موجةٌ مِن سُرور
ضَحِكَت،
وبَكَت:
آهِ يا قَمَري..
أَتَظَلُّ نُجومُ الهنَا..
في مدانا تَدور ؟!
حالتانِ اثنتانِ تَجوبانِ..
نَبضَ المدى،
والنَّدى والعُصور!!

14- الأرض :

تُزهِرُ الأرضُ إن لَعِبَت فوقَها..
صَهَواتُ خُيولِ الفِدا
حَفنَةٌ مِن دَمٍ،
نَفحَةٌ مِن رحيقِ البُطولاتِ..
تُبقي قَناديلَ..
حُرِّيَّةِ الأرضِ مُتَّقِدَة!!

الفرصة الذهبية

نادرة بركات الحفار

انتفض أمين في مقعده، تجهّم وجهه، اتسعت مقلتاه، تقطبت شفتاه، صاح بانفعال وتوتر:

لا يا سادة لا... لا يمكن أن أرتكب مثل هذه الحماقة، ما تطلبينه مني مستحيل مستحيل، صحيح أنني فقير، موظف صغير، أعيش حياة التقشف في هذه الحجرة العفنة، ولا أملك أكثر من قوت يومي، لكنني لن أسمح لنفسي بالسقوط إلى الدرك الاسفل، وارتكاب معصية مشينة، منافية للخلق والمثل والمبادئ التي تربّيت عليها ونشأت...

ضمَّ يدها بين يديه واستطرد:

أرجوك يا سارة، أرجوك، اطردي الشيطان من أفكارك، لا تسمحي له بالسيطرة على عقلك وخيالك، تجاهليه، انسخيه، كفّي عن التفكير في هذه الجريمة، وانتظري، لعلّ الله يجد لنا مخرجاً من حيث لا ندري ولا نحتسب، فأنا يا سارة، أنا مؤمن بأن.....

قاطعته سارة بغضب وحنق:

توقف أنت عن إسداء النصح، كفّ عن الكلام العقيم، الأمر لا يستحق مقدّمة ابن خلدون في الأخلاق والفضائل، تأمل واقعنا المخزي، نحن في حالة مزرية، لا نحسد عليها، وقد يفضح سرّنا في أية لحظة، ويلحق بنا العار، ولا تفيدنا المواعظ ولا الحكم؛...

صمت برهة ثم استرسلت:

أبي يصر على تزويجي من هذا المعتوه المغترب؛ يستقبله كل ليلة استقبال الفاتحين، يناقشه في أمر زواجي منه؛ يجب أن تنقذني يا أمين، يجب أن تتقدم لخطبتي بالسرعة القصوى، يجب أن نستأجر مسكنا، وأن يتمّ زواجنا قبل أن يلحق العار بنا؛ ماذا تنتظر؟... ألا تحبني؟!... ألا تريدني زوجة لك؟!...

حملق أمين إلى وجه يسرا:

-أنت تعلمين أنني أحبك، وأن ليس لي في هذه الدنيا أملاً سواك، ولكن هل أسرق واختلس، وأسخّر نفسي لخدمة الشيطان، لأجل أن نستأجر بيتاً ونتزوج؟!.. هل يطاوعني ضميري؟! كيف يطاوعني ضميري كيف؟!..

تساءلت بلهجة ساخرة حادة:

أين كان ضميرك حين دعوتني إلى مسكنك؟ وأثناء كانت جدَّتك في زيارة خالك؟؟!.. هل نسيت ما جرى بيننا في ذاك النهار؟! أين كان ضميرك حين التقينا ثانية وثالثة ورابعة أيام كانت جدّتك في المستشفى، تجري عملية القلب المفتوح؟!... حتى إن خالك باغتنا ذات مرّة، ورآنا معاً في حجرتك؛ نفرت الدموع من عينيها:

أين كان الشيطان آنذاك؟ هل قيّدته بسلاسل اللهو والعبث؟... أم بنشوة الحب والمتعة؟!... أم تراك قهرته، وعلّقته على حبال التجاهل والنسيان؟!...

اضطرب أمين، صعّد زفرة عميقة:

الأمر يختلف يا سارة، لقد دعوتك إلى مسكني الذي أعيش فيه مع جدّتي لأنني أحبك، لكنك تريدينني لصاً محترفاً؛ يقتحم منزل عمتك ويسرق مالها ومصاغها؟!...

شردت سارة، تساءلت بصوت مقهور:

ألم تقتحم عالمي، وتسرق أنوثتي وتجرح كبريائي؟!... ألم تقتحم حياتي وتسلبني براءتي وطفولتي وكرامتي؟!.. أو لم يخطر في ذهنك ما سوف تلحقه بي من آلام؛ أو لم يؤنبك ضميرك بأنني قد أنتحر وأموت فيما إذا كشف أمري؛...

هزّته كلماتها؛ آلمته، كأنها تذر الملح على جروحه، قال بصوت متحشرج مبحوح:

لكن ما تطلبينه يا سارة أمر فظيع فظيع؛ كيف يمكن أن أمدّ يدي إلى مال غيري؟.. وكيف تبني سعادتنا على السرقة والاختلاس والأضرار بالناس؟.

وراحت تقنعه:

المال الذي سنأخذه من خزنة عمتي، هو في الحقيقة مالي أنا؛ لأنه سيؤول إليَّ عاجلاً أم آجلاً، فليس لعمتي من وريث شرعي غير أبي، مما يعني أننا نسرق مالي، وكل مافي الأمر أننا سنحظى به في وقت مبكر لحاجتنا الماسّة إليه....

تردّد أمين في ارتياب:

لكن الشرع يطالبنا بالصبر والانتظار، يمتحن قدرتنا على الصبر، وتؤكد القواعد القانونية أن من استعجل الشيء عوقب بحرمانه؛ ولو كشف أمرنا لا قدّر الله، فإنك ستحرمين المال برمّته...

رمقته بنظرة حانقة عاتبة:

الشرع أيضاً يطالبنا بالزواج الفوري، بعد أن بلغت علاقتنا مبلغاً لا يحتمل الانتظار، نحن أمام خيارين أحلاهما مرّ، والفرصة التي تلوح أمامنا فرصة ذهبية، تخلّصنا من مشاكلنا وهمومنا.

طوقت وجهة بيديها:

عمتي ثرية، لكنها بخيلة إلى درجة العجب، شديدة الحرص على المال، تستحق ماسنفعله بها...

قرّبت وجهها من وجهه، لفحته أنفاسها:

أرجوك يا أمين، لا تحيل الأمر إلى دراما مأساوية، حرام أن تضيع منا هذه الفرصة الوحيدة...

مرّت بشفتيها على شفتيه:

سوف نتزوج، ونعيش معاً إلى الأبد، سوف تتحقق أمانينا، حبنا لم يعد يحتمل الصبر والانتظار..

مسّته حرارتها، ضعفت إرادته أمام أنوثتها، سألها بصوت ضعيف مستسلم:

-وكيف تتم مثل هذه السرقة؟ ماهي الخطوات التي يتوجب عليَّ الإقدام عليها؟!..

تورد وجهها، تنفّست الصعداء، ردّدت بصوت رقيق:

-الأمر في غاية البساطة، بما أن عمتي تستسلم للنوم في تمام الثامنة ليلاً، فإنك تستطيع أن تدخل بيتها في التاسعة، وبمفتاح البيت الذي سأعطيه لك، لتقوم بمهمتك على أكمل وجه، ومن دون أثر لأي فعل...

سردت تفاصيل المشهد الذي سيقوم أمين ببطولته، سهّلت له مهمته، أقنعته بجميع السبل والوسائل، وعلى ضوء الشمعة المتراقص، جذبته إليها، ووهبته السعادة الخالصة...

تجاهل المخاطر والصعوبات التي قد تواجهه، تجاهل مخاوفه ونداء ضميره، فقد تمادى في علاقته بسارة، أصبحت محور حياته ووجوده، وبات من المستحيل فراقها، أو التخلي عنها...

لماذا يرفض مثل هذا العرض السخي؟!.. لماذا يمتنع عن تنفيذ اقتراحها؟ وهو أكثر شوقاً؛ لماذا لا يسعى إلى تحقيق أمانيه؟! ويعيش في مسكن لائق مثل خلق الله؟!... برفقة معبودته الغالية؟!...

في تمام التاسعة من الليلة الموعودة، كان أمين يضع المفتاح في مزلاج الباب، لم يكن الأمر بالبساطة التي توقعتها سارة، فقد استعصى عليه المفتاح بادئ الأمر، وحين تمَّ له علاجه تخلّت عنه قواه، تملكه رعب حقيقي، وراح يرتجف بهلع، ودقات قلبه مثل طبول تصمّ أذنيه...

كان البيت هادئاً ساكناً إلاَّ من صوت شخير يصدر من الحجرة البعيدة، وفق ما أخبرته سارة...

«سوف تسمع مباشرة شخير عمتي، فهي تعاني من انحراف خلقي في أنفها، يمنعها من التنفس»...

أغلق الباب بحذر شديد، رفع يده ليضيء النور، لكنه تراجع وهو يستعيد كلمات سارة...

«لن يكون البيت مظلماً، سوف تجده شبه مضاءً، لأن عمتي لا تستطيع النوم في الظلام»...

ومضى بحذائه الرياضي يقطع الممّر الطويل إلى حجرة العجوز الغافية في سريرها، وصوت سارة يلاحقه.

«سوف يقودك شخير عمتي إلى الحجرة الأخيرة في الممّر، هناك في الجهة المقابلة لسريرها، سوف تجد الخزنة الحديدية»...

كانت الحجرة مضاءة بنور خافت، استطاع أمين من خلاله أن يلمح العجوز متدثرة بغطاء صوفي، وأن يعثر على الخزنة الحديدية في الجهة المقابلة لسريرها...

«حين تقف أمام الخزنة، يمكنك أن تنحني على الأرض، وتمدّ يدك إلى كوّتها، وتدير بإصبعك الأرقام السرّية التي لا يعرفها أحد، غير عمتي وأنا، فقد سبق لي أن راقبتها ذات مرّة في أثناء كانت تديرها»...

انحنى على الأرض، أدار الكوة «واحد، اثنان، ثلاثة»، وفتح باب الكنز محدثاً صريراً خفيفاً، متزامناً مع لهاث أمين الصاخبة..

أجفل مكانه، اتسعّت حدقتا عينيه، التهب خياله، مدّ يده المرتعشة إلى رزم المال المصفوفة بعناية، تناول إحداها، دسّها في جيب سترته، أثارت فيه الرغبة إلى المزيد والمزيد، ضمَّ في قبضة يده بضع قطع ذهبية، أحدثت صوت رنين أفزعه، وفيما كان يهمّ بإغلاق الخزنة، تململت العجوز في سريرها، تقلّبت، فتحت عينيها، لمحته أمامها، حدّقت إليه، واندفع صراخها مثل بوق سيارة فلت زمامه، ولم يجد من يلجمه...

لم يعد يدري ما الذي يمكن أن يفعله؛ شعر ببرودة تسري في جسده، كأن روحه اقتلعت من جذورها، خيّل إليه هؤلاء الذين سيهبّون لنجدتها، يطوّقونه، يقبضون عليه، يجرّونه إلى المقصلة!!...

لم تشر إليه سارة، بمايتوجّب عليه فعله، فيما إذا لمحته عمتها، لم تسد إليه النصح حيال مثل هذا الموقف الرهيب، لكنه فجأة ودون شعور وجد نفسه وبخطوة واحدة يقفز إلى سرير المرأة العجوز، ويحيط عنقها بيديه...

لم يشأ خنق المرأة المسنّة، كان يتمنى لو أنها تخرس صوتها وتصمت... ولو أنه يعيد إليها المال ويخرج، لكنها حملقت إلى وجهه في رعب وفزع، وتوقّفت عن الصراخ، في اللحظة التي تلقطت فيها أذنه رنين جرس الباب...

من ذا الذي يجيء في مثل تلك الساعة؟!.. هل هناك من سمع استغاثتها؟ لماذا صمتت فجأة؟!.. هل يفتح الباب للقادم ويكشف عن نفسه بنفسه؟!..

أم ينتظر في بقعة مظلمة، إلى أن يعود الطارق أدراجه؟!...

وقف حائراً مرتبكاً،خائفاً، وفي منتصف الردهة راح يتلّفت حوله في ضياع، لا يقوى حتى على التفكير ، فيما عليه أن يفعله...

رنين الجرس يعلو ويتواصل، طرقات الباب لا تتوقف، ربما كان من الأفضل له الهرب، وبأي حال من الأحوال عليه أن يسلّم أمره لله، ويفتح الباب ثم يسابق الريح...

قابله رجل يحمل بيده حقيبة طبيّة، قال معرفاً بنفسه:

أنا الطبيب المناوب في مشفى الشفاء، لقد اتصلت بنا السيدة منذ ساعة، شرحت لي بعض العوارض التي تشير إلى احتمال إصابتها بالجلطة، هل قمتم بنقلها إلى المستشفى؟!... هل أنقذتموها؟!..

نظر أمين إلى الرجل ذاهلاً، وخلال ثانية واحدة قفز الدرج قفزاً، أطلق العنان لقدميه، وفرَّ هارباً، يركض في الشوارع، يخاطر بحياته، يتجاوز الإشارات الضوئية، غير حافل بالسيارات والحافلات، ينادي اسم سارة، يهرب من نفسه، من ذاته، يتمنى لو أن هذه الفرصة لم تسنح له، ولو أنه لم يستجب لسارة...

ثلاثة أعوام انقضت في جلسات التحقيق، واستدعاء الشهود، ومذكرات الدفاع، ثلاثة أعوام وسارة في سجن النساء، تنتظر المصير الذي لم تتوقعه، فقد تبيّن أن العمة العجوز ماتت إثر جلطة قلبية، كانت عوارضها قد ظهرت عليها، فاتصلت بالمستشفى الذي تأخر مدة ساعة عن إنقاذها.

على الرغم من أن تشريح الجثة، وتقرير الاطباء جاءا لصالح أمين، إلاَّ أنَّ القاضي عدَّ الجلطة نتيجة طبيعية للخوف الذي ألحقه بها أمين، ومما يثبت حالة الفزع التي عاشتها العجوز قبل وفاتها، بصمات أصابع أمين حول عنقها.

حكم على سارة بالسجن عشرة أعوام، بتهمة التحريض على السرقة، والسلب بالعنف، كما تم الحكم على أمين بالسجن خمسة عشر عاماً، بتهمة السلب بالعنف والشروع في القتل.

احترقت عيناه بالدموع، أجهش في حزن وأسف، تولاه وجع الندم، لو أنه لم يستجب لسارة، لقضت العجوز في موعدها، ولما تحمل وزر موتها، وعذاب ضميره، فالساعة التي قضت فيها، لم تكن فرصة ذهبية، بقدر ما كانت ساعة شيطانية...

الاسم المستعار...

أحمد علي الشمالي

لا أحد يدري سرّ افتتان الكاتب «عبود الماوي» بالاسم المستعار.. ربما لاعتقاده بأنّ ذلك يجنّبه مغبّة الوقوع تحت طائلة شبهة ما، تثيرها فكرة أو عبارة أو تلميح أو إشارة..

فهو ما إن ينهي كتابة قصته القصيرة حتى يقرر أحد أمرين.. إمّا أن يذيّلها باسمه، وإمّا أن يبحث لها عن اسم مستعار..

هذا ما حدث لدى انتهائه من كتابة آخر قصة قصيرة له.

فبعد أن قرأها بتمعّن، لم يشأ أن يذيّلها باسمه؛ بل اختار لها اسماً مستعاراً هو «هارون الأصبح» ثم دفع بها للنشر في إحدى الصحف الأسبوعية..

لم يكن قد مرّ على ذلك سوى بضعة أسابيع، حين برز له شخص خُيِّلَ إليه أنه يعرفه.. دفعَ إليه بالصحيفة، وقال مغتبطاً: جئتكَ بقصةٍ منشورة لي.. اقرأها.. هي آخر ما كتبت!

فتح الماوي الصحيفة، فأخذته الدهشة وصاح مستغرباً: أنت..؟!!

ـ بلى أنا..!

ـ لكنّ القصة لي.. أنا من كَتَبها..!!

ـ وكيف؟ إنها مذيلة باسمي!!

ما جعل الماوي يهرع إلى أوراقه المبعثرة داخل الأدراج.. يتأمّلها، يخرِجُ بعضاً منها: مقدمة للقصة هنا.. تفصيل هناك.. فقرة على هذه القصاصة.. خاتمة على قصاصة أخرى.. عبارة على هامش.. عنوان داخل دائرة.. جُمل مشطوبة وكلمات بديلة.. سطور بحبر أسود وأخرى بحبر أزرق.. يضعها بين يدي هارون فيفاجَأ.. تصفعه الأدلة.. تلوب عيناه في الزوايا.. تستجيد مسوّغات واهية.. يتشبث باسمه المستعار.. يختبئ خلف أسطر هزيلة خَطَّها ذات ادّعاء.. يتوارى..

يعود إلى الظهور من جديد.. أحرفاً على باب ناد ثقافي تارة.. وكائناً من لحم ودم تارة أخرى.. يحل ضيفاً في مكاتب صحيفة.. يتلقى كلمات التقريظ...

يتسلم مكافأة.. يتسلق أدراج صحيفة أخرى.. يدفع إليها بمادة للنشر!! يضحك الماوي ثم يأسى من شرِّ بلية أوقعه بها الاسم المستعار..

يقرر مواجهة الأصبح، يسأله عن فعلته.. فيكيل له الأعذار، ويغلظ الأيمان.. ويؤكد مرة بعد مرة بأنّ ما فعله إن هو إلا زلّة لن تتكرر لن يعود إلى مثلها مرة أخرى..

يتهدّج صوته عبر الهاتف ويعتذر.. يطرق باب المكتب ويأسف!!

أحقاً..؟!!

وهل لهارون الأصبح أن يتوب..؟ أن يعود إلى رشده.. أن تصدُقَ وعودُه.. أن يلتزم جادة الصواب..؟

مَن يدري.. يحدّث الماوي نفسه.. لعلَّه أدركَ خطأه.. جَلَّ مَن لا يخطئ.. ثم ألا يقولون إنّ العفو من شيم الكرام..؟ لماذا لا أقبلُ العذر.. ولماذا لا أتسامح وأعفو..؟!!

على هذا كان الكاتب «عبود الماوي» يستقبل هارون الأصبح.. يتحاوران.. يتناقشان في أمور مختلفة.. يتحدثان في مسائل الخطأ والصواب.. يفترقان على موعد جديد للقاء..

كان في وهم الماوي من خلال تلك اللقاءات والمصارحات أنّ الأصبح قد وطَّن نفسه على التخلي عن القصة وعن ادِّعاء كتابتها..

وكاد يدرجها في مجموعته الجديدة المعدّة للطبع، لولا أن فوجئ بها للمرة الثالثة منشورة في إحدى الصحف ومذيلة بالاسم المستعار ذاته!!!

بَدَد..

غادة اليوسف

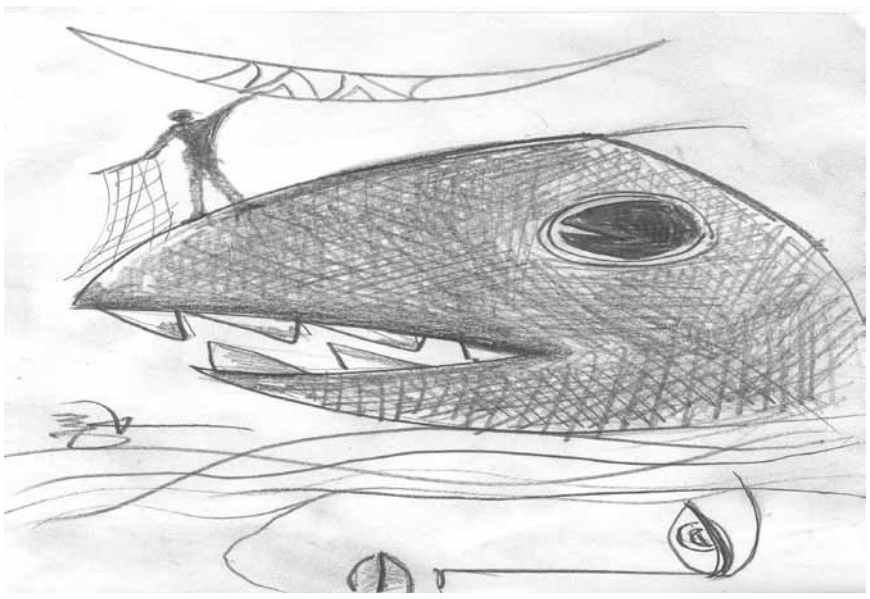

هيه...؟؟!!
يا.... أنتم..؟؟!!
أهل الخنا..
بينَ الهُناكِ، والهُنا..
هذا الترابُ ترابُنا..
سالت على ذرّاته أحلامُنا..
من طينه المعجونِ بالدمعاتِ
صاغت أمَّنا
أيّامَنا..
والأرضُ هذي..أرضُنا :
أنهارها..أسفارنا
أشجارها..أسلافنا
أزهارها.. أخلافنا
أنسامها.. أنفاسنا
صقورها.. نسورها
بُزاتُها.... آفاقُنا
شحرورُها..أنغامُنا..
وشمسها غوايةُ الأبد
تهيمُ في غرامها أقمارُنا..
وبحرُها..
تموجُ فوق مائهِ
أسماؤنا..
تطريزُ حوريّاتهِ
من دمّ أرجواننا..
مازال ينهضُ من رماد
بإذخاً فينيقُنا..
كم قد نثرنا الوردَ
عندَ غباركم
حلماً بلا ماءٍ ؛ يموت
مكفّناً بسرابكم

كم قد سفحنا العطر
كرمى للوصالِ
فما انوصل..
كم قد مسحنا الجرح في
خدّ الحكايات الوجيعةِ
ما اندمل..
فالنطعُ يغسل عن تجاعيد
الحكاية
ما تقنّع وانسدل..
لم يبقَ وقت للدّجل..
بلا نفاقٍ أو خجل..
فلنكشِف المسكوتَ عنه
لم يبقَ وقت للدّجل
لا وقت نثقله بتلفيق القبل ..
ولنقرأ المطويّ في ذاكرة الأيامِ
من دمعِ المقل
بلا زعل :
إنّا..
ويعرفنا الإله..
أنّا عرفنا سرَّهُ
فيما تجلّى
أو.. فعل
قبل استباحة دمِّنا
كُرمى للاتٍ أو هُبَل..

إنّا..
ويعرفنا الإله
أنّا عبدنا الله من قبل الوثن
ذاك الذي من أجلهِ
فاضت على أسيافكم
أرواحُنا
فلتحملوا أنصالكم..
إجرامكم.. نفاقكم
خوارَكم وعِجلَهُ..
ولترحلوا عن طهرنا
عن قدسنا
عن وجهنا..
عن والدٍ..وما ولد
يا من أتيتم من بدد
ماذا فعلتم بالبلد؟؟؟

أنا وهو

عمران عز الدين

منذ مدة زمنية قصيرة، قصيرة على نحو ما، شهر تماماً؛ بل توخياً للأمانة، شهر أو أكثر تقريباً، يلاحقني أحدهم كظلي، يتعقبني مثل بهلوان خبير اعتاد على أمور كهذه، لم أعر الأمر أهمية بادئ ذي بدء، ولم يكن بمقدوري بعد ذلك ـ تجنباً للسلامة ـ غير أن أحتاط أكثر!. فهذا الرجل الطويل مثل شجرة نخل، الذي يرتدي معطفاً أسود سميكاً، ويعتمر قبعة من الصوف، الجامد الوجه والهادئ السمت، الذي تنم عيناه الزرقاوان عن التفكير والتأمل المستمر، ومن الصعوبة بمكان تحديد عمره، لا يكل ولا يمل في تعقب أثري، وهو ـ على ما يبدو ـ لا يعرف أحداً في هذه المدينة الصاخبة، أو لا يعرفه أحد، سيّان، فهو في ملاحقته الدءوبة لي، التي يتقصد ربّما أن تكون مكشوفة للجميع، لم يحدث أن تجاذب أطراف الحديث مع أحدهم ، أو سلّم سلاماً عابراً على أي كان، كما لم يوقفه أحدهم لتحيته، وهذا ما يتعبني، هذا ما يرهقني حقيقة، حتى إنني فكرت مؤخراً أن أفتعل معه مشكلة، بالرغم من أنني ـ وكما يخيل لي ـ كائن مسالم جداً، أعرف تماماً ما يترتب عليّ من واجبات، وما أتمتع به من حقوق، أنا حقيقة كائن أوهى من أن يفتعل المشاكل، لكنني، فكرتُ على هذا النحو فقط، لكي أتبين منه بالتحديد، ما يريده مني، وفي كلّ مرة، وقبل أن أهم بافتعال المشكلة معه، كان يختفي فجأة، فأخفق في مسعاي، كأنه يعرف تماماً ما أبيت له، كأنه يقرأ أفكاري، وهذا ما يتعبني، هذا ما يرهقني حقيقة!.

هل هو مخبر يا ترى؟ لا أعتقد، فأنا لم أنتسب في حياتي لتنظيم سريّ معاد، لم أقترف مخالفة وظيفية أو عملية، ولا أشاهد القنوات الفضائية المغرضة، كما إنني لا أتصفح الصحف المعادية أو المواقع المحظورة على النت!. قد يكون داعية دينياً متشدداً، متنكراً بزيه العصري هذا، مكلفاً بمراقبتي، ومن ثم تجنيدي في صفوف التنظيم الذي يعمل فيه؟ احتمال واه، فأنا غير ملتزم دينياً، وأنتسب إلى النظام الأخلاقي، أفرق تماماً بين الخير والشر، وكذلك بين الحق والباطل. هل اقترفتُ في يوم ما جرماً مثلاً، فكلف أحدهم هذا الرجل لكي يقتصّ له مني؟ غير معقول، فأنا بطبيعتي كائن انطوائي، أستمتع بعزلتي، كما أنني كائن نباتي، أنفر من شكل الدم، وتقرفني رائحته. ثمّ إنني لا أرتاد إلا أماكن محدّدة بعينها، حتى إن كلّ من يمت لي بصلة ما بإمكانه أن يعثر علي بكلّ سهولة ويسر، ولأنني مجبول على هذا النحو، فبإمكاني قطعاً أن أميز ـ من دون أن أبذل جهداً ـ بين ما أنا عليه، وبين تلك التفاصيل التي تقتحم ـ من دون إخطار أو إذن مسبق ـ حياتي مهما كانت صغيرة، لسبب بسيط فقط؛ إذ يربكني الأمر الطارئ، يمرضني بكلّ صراحة وبلا مواربة. ربّما، ثمّة شبهٌ بيني وبين رجل آخر يعرفه!؟ لا، لو كان الأمر كذلك، لأخبرني به، ولكفى نفسه هذا العناء، عناء مراقبتي. إذن.. ما الذي يريده مني بالضبط؟ ما الذي يريده مني هذا الرجل الغامض، هذا الرجل الذي يتعقبني منذ شهر أو أكثر، من دون أن يكشف لي عن هويته، ومن دون أن يفصح لي عن نواياه؟ قد يكون مكلفاً بحراستي؟ لكن، ممن يحرسني؟ أكاد أجن، إلهي... ما الذي ينتظرني؟.

بناء على طلب زوجتي المتبرمة، وقد باتت عزلتي المنزلية تضجرها، كنت أرتشف منذ شهر أو أكثر تقريباً فنجاناً من القهوة في ركن منزو من المقهى، هناك رأيته، رأيته هناك للمرة الأولى، كان يحدق فيّ ملياً، يرصد تحركاتي بدقة متناهية، كان يجلس على كرسي رفقة بعض أصدقائه ربّما، وعلى عكسهم، فلم يكن يرتشف شيئاً، لم يكن يدخن، كما أنه لم يكن يشاركهم الكلام أو لعب الشدّة؛ إذاك، وعلى ما أذكر، علت أصواتهم، أبرحوا بعضهم البعض ضرباً وشتماً، بينما بقي هو متشبثاً بكرسيه، لا يفارقه، وكأن الأمر برمته لا يعنيه البتة، ثمّ انصرفوا، وبقي هو، وعندما هممت بالانصراف، انصرف هو أيضاً من دون أن يحاسب النادل. فاعترضتُ طريقه، ثمّ أوقفته وسألته: من الذي كلفك بمراقبتي؟ وماذا تريد مني؟ فابتسم بسخرية من دون أن أعثر له على ملامح واضحة، وانصرف من دون أن يحير جواباً، وقبل أن أغادر المقهى بدوري، أوقفني النادل وسألني بأدبٍ جمّ:

ـ سيدي، مع من كنتَ تتكلم قبل قليل؟

فغادرت المقهى بسرعة من دون أن أجيبه لا ألوي على شيء.

في الأيام العشر الأول، كان يكتفي بمراقبتي مرة واحدة في اليوم، لم يكن منتظماً في مواعيده، كان يظهر صباحاً أو مساء، في العمل أو الحافلة أو في الشارع، وبالسرعة ذاتها التي كان يظهر بها كان يختفي أيضاً. وهذا ما كان يحيرني، هذا ما كان يصعقني ويدهشني. لكنه بالغ في نشاطه في الأيام العشر التالية، كان يراقبني صباحاً ومساء على حد سواء، بات في حكم المؤكد أنه يعرفني تماماً، ويعرف كلّ الأماكن التي أتردد إليها، لم ينفع معه التمويه والتلصص والتملص والسفر أيضاً. كنت عندما أقرر السفر مثلاً إلى مكان ما، أصطدم به إما في الحافلة التي كانت ستقلني، أو أصطدم به في المكان ذاته. أما في الأيام العشر الأخيرة، في هذه الأيام وحتى اللحظة، فقد كثف من جرعات نشاطه، وبات يراقبني في حلي وترحالي ضقت ذرعاً، أخبرت زوجتي بالأمر، لكنها لم ترد عليّ، وبعد صمت مطبق طلبت مني أن أرفه عن نفسي قليلاً، ثمّ اقترحت أن نخرج معاً إلى مقصف، يقع في مركز المدينة، ويقدم كوكتيلاً شهياً. وهنا!!!!ك، سردت لها كلّ ما يجري معي من تفاصيل، فأطلقت ضحكة طويلة، ولم تصدقني كما تبين لي من ردودها، ثمّ قالت:

ـ أنت متعب يا عزيزي، عليك أن تخلد للنوم فور عودتنا للمنزل مباشرة.

ـ فقط، عندما أكون في المنزل، أرتاح منه، ومن رؤيته.

ـ هل أساء إليك؟

ـ كلا، لم يسئ.

فنفرت مني، وقالت بحدة لم أعتدها:

ـ تجاهله.

وفجأة، لمحته، كإعصار تقدم منا غير آبه بشيء، وكفراشة افترش الكرسي الذي يقع بالقرب من زوجتي.

حمداً لله، ستتأكد أخيراً من صدق كلامي. فقلتُ لها بصوتٍ عالٍ حدق فينا كلّ من في المقصف على إثره:

ـ هذا هو الرجل الذي أحدثك عنه، هل تأكدت من كلامي؟

ـ .....!!؟

ـ إنه يقبع على الكرسي الذي يحاذيك مباشرة.

أطلقت نظرة فاحصة، ثمّ انتصبت واقفة مثل شجرة صفصاف، وهي تطلب مني أن نغادر المقصف!.

قبل أن نلج البيت، كان بالقرب من مدخل البناية يشيعني بنظراته، فأحكمت إغلاق الباب، ثمّ ألقيت نظرة من النافذة على الشارع، كان ما يزال على حاله، يقتعد الرصيف، من دون أن تهتز له شعرة في ذلك الطقس الشتائي البارد.

خطر لي غير ما مرة، أن أتمدّد على سرير المرضى، أن أراجع طبيباً نفسياً، أن أبوح له بعد تنهيدة طويلة بكلّ ما ينتابني، وأنا أرهف السمع لتلك الموسيقى الخافتة التي تساعد مرضى من هذا النوع على الاسترسال في سرد التفاصيل الممضة، الطارئة، التي باتت تقض مضجعي شخصياً، لكن سرعان ما كنت أعدل عن هذا الأمر؛ فأنا لست مريضاً نفسياً، يقيناً، سأستعيد نشاطي، وسأتمتع بصحة جيدة، لو توقف هذا الرجل عن مراقبتي، فقط، لو توقف عن مراقبتي.

اهتديتُ أخيراً إلى حلٍ أسعفتني به دائرة خياراتي المحدودة، سألزم البيت، ولن أبرحه إلا بعد أسبوع من الآن، لم لا ؟ وإذا حدث ووجدته ما يزال يراقبني، سألزم البيت أسبوعين متتاليين آخرين، وهكذا دواليك، إلى أن يمل ويكف عن مراقبتي، أو أجعل من بيتي سجناً أو منفى اختيارياً. لكن، لم يكتب لخطتي النجاح؛ إذ ذبلت صحتي، ووهنت عظامي، واشتعل الرأس شيباً، لقد عبث هذا الرجل بحياتي، وبات في حكم المؤجل أو المقسط ربّما كلّ المشاريع والأماني والأهداف التي كنت بصدد تحقيقها، لزمت البيت، ولم أعد أقوى على الحركة، فلزمت السرير، وأنا لا أكف عن التفكير فيه؛ إذ بات يتصدر شاشة التلفاز، فعفتها، بات يشاركني مجلس الطعام، فعفته، بات يتربص بي في المرآة، بات في كأس الماء، فعفته، بات في الحمام، في ألبوم الصور، بات في رأسي، شلّ تفكيري، كبلني، أطبق على كلي، أحكم سيطرته عليّ تماماً، فتركته يعيث بي كما يشاء. وكمحتضر اشتدت عليه الحمى، تكومت مثل خرقة مهترئة في فراشي، لا حول لي ولا قوة.

في صباح شتائي باهت، صباح كافكاوي أشبه بموسيقى جنائزية، استجمعتُ قواي، ودبّ النشاط في جسدي، ففتحت عينيّ، كان الأهل والأصدقاء بالقرب من سريري، يطوقونني بالورد والابتسامات، فيما كانت والدتي تبتهل إلى الله أن يشفيني، توسعت نظرتي، شملت الكل، لكن سرعان ما شلت حركتي، وجحظت عيناي، واحتبست أنفاسي، وبصوت واهن ومبحوح تمتمتُ في أذن زوجتي مستفسراً:

ـ من هو الرجل الواقف بالقرب من النافذة؟

كفكفت دموعها التي كانت تسيل بغزارة، وقالت:

ـ أين ؟

ـ ذاك الذي يتصفح دفتر يومياتي؟

ـ ..... !!

ـ لماذا لا تردين؟

وكما لو كنتُ سجيناً في قفص محكم، ناء ومظلم، يصول فيه ويجول كابوس ممرض، أحكم قبضته الفولاذية على رقبتي لشهر أو أكثر قالت:

ـ لا يوجد أحد هناك.

فومضَ مثل نيزكٍ، ثمّ ترقرقت الدموع في عينيه، وتبخر.

أما أنا، فقد سرت قشعريرة باردة في كياني، انتفض على إثرها جسدي، ومثل شمعة واهنة انطفأت!.

تراتيل التلظي

مرشدة جاويش

يفجعني افتراسك لأشلائي
تنزلت الجن علي
ولكن راقني قربك
كالحلم الشفيف
هل
أنت ظلّي
لا أخفيك أنك
حين شربت من
كريات شذاي
سكنت ذاتي
إليك
أهمس بدمي
على سغب القفار
لكنك
وأدت أحلامي التي شاخت
بعثرت عواطفي
كم
كنت كلك
وكنت كلي
لماذا
شغف الولوع
انسجام من رقم الضياع
يا كائني السرمدي
عشقت سحر موتي إليك
غير أن الشوك أدمى رياحي
استنشقت فيك تابوت سكوني
ومن بين رموشي تنسلخ
سبحات غيثي
وشهقاتُ أنوثتي
لماذا
بجمر التياعي
تبعثر نعشي
لماذا
تشيع هذا المديد
الذي
أشعل الكون فينا
وأنت سليل
مضارب جسدي
ماذا تري
أيها المعلب
إني تسربلت بالغيم
لأنثال أبكي
وها أنا بين الجراح
التي لا تعدّ
أسير ورائي
بمشكاة ظني
سأرسم فوق جدار
أراه بعيداً
بعيداً
عن الروح
والكلمات
أناشيد موتك
ثمَّ
بذلك الجناح الغريب
أضم
رجيف التلظي
فهل أستعي
سؤالي
أحب من الكون
هذا الذي
يطفح الآن
بالمعجزات
ويبدأ
حرثي

أمّي..!

محمد حمود

لم ِلم يأكل؟!
.....!(يفرد كفّيه)
ما حاله؟!(للممرّض)
- لا أدري!.. منذ الصّباح وهو يطالبني بأمّه!
اِشغله عن الموضوع! وإذا طالت القصّة أعطه حبّة منوم.. وعندما يفيق يكون قد نسي..(ثمّ يستدرك وهو يرتدي معطفه و يهمّ بالخروج) على أمل أن لا يطالبنا بجدّي أيضاً!
لا تهتمّ! سأعتني به! (الممرّض)
انتبه للأقفال! ولا تغفل عنه ثانية واحدة!
بالتّأكيد.
في المرّة الماضية وجدناه بأعجوبة! لا أريد أن يتكرّر ذلك!! (وهو يُشرع سبّابته)
حاضر!
*
تعرف بيت أمّي؟ خذني إليه..!(بتوسّل).. والله تجنّ عليّ عندما أتأخّر!
حسناً، سأفعل! ولكن بعد أن تتناول طعامك!
لا أستطيع!.. فهي تنتظرني الآن، ولن تسمح لإخوتي بالأكل قبل أن أحضر!.. أنت لا تعرف أمّي!!
جميع الأمّهات كذلك!
لا! أمّي مختلفة.. البارحة – أو قبلها.. قبلها؟ لست أدري! لكن أتدري ما فعلت؟ ضربتني على مؤخّرتي ثمّ.. (يضحك) ثمّ بكت معي!
كُل! كُل الآن!
وأمّي ماذا أقول لها! أتعرف أين تكون الآن؟!؟!
أعرف.(بلا مبالاة)
أين؟؟
في البيت.
في البيت؟!! ألم أقل لك إنّك لا تعرفها!
....(غير مبالٍ يتابع التّلفاز فيما الآخر يحدّق فيه؛ يتحرّى جواباً).
..على الطّرقات تكون الآن!! تسأل الآتي والذّاهب عنّي!!
..(على حاله)
ألن تدعني أذهب؟! صدّقني أمّي طيّبةٌ ولن تؤذيك.. أصلاً أمّي لا تؤذي أحداً!.. أحياناً تبدو قاسيةً نعم، تجاعيد وجهها ويديها، سمرتُها.. ملامحها تجعلك تظنّ ذلك، لكن الحقيقة أنّ الحياة فعلت بها ذلك!.. مسكينة! تعذّبت كثيراً في حياتها..!!(يسرح قليلاً، وينفض رأسه بأسىً وحسرة).
تريد الذّهاب إلى الحمّام؟
(ينفض رأسه).
هذه المعكرونة تبدو لذيذة على فكرة!
هم! هذه لذيذة!؟! ما كنت لتقول إذاً في البيض الذي تقليه أمّي بالسّمن؟!.. أو خبز الصّاج الذي تعمله.. أو المجدّرة وفطائر السّلق..تعلم شيئاً؟(باسماً يتذكّر بحبّ) الجميع يتقصّد المرور من عند التّنّور عندما تخبز أمّي؛ يعلمون أنّها كريمة.. (يهزّ رأسه) إيـ.. ـه لم يستطع الفقر جعلها بخيلة!.. للأمانة الجميع في قريتي كذلك.. عائلة واحدة! صحيح أنّه تحدث أحياناً بعض المشاجرات والخلافات، ولكن تراهم يتصافون عند أوّل نكسةٍ تصيب أحدهم!
ألا تسكت وتريحني؟!
دعني أذهب إلى أمّي إذاً!!
أمّك ماتت.. سمعت؟!
ماذا؟! قبل أن أقول لها؟!
تقول لها ماذا؟!
كم أحبها وكم.. لا أنت تكذب!
.. بل فعلت منذ خمسين عاماً!(بعصبيّة)
لا! أنت تكذب.. اليوم صباحاً قبّلت يدها وودّعتها (يستدرك) وبالعلامة قالت لي ((خسرتُ والدك! لا أريد أن أخسرك أيضاً..!!))
نعم صحيح! ولكن كان هذا قبل خمسين عاماً أيّها الولد البارّ ؛ قضيتَها في الغربة تجمع المال وتتعهّر؛ فيما تبكيك أمّك هنا ليل نهار، تندب وتتحسّر فهمت!؟
لا! غير صحيح!(ينفض رأسه رافضاً)
انظر إلى يديك الزّاجفتين إذاً! وعكّازك! وظهرك الأعوج! هل تصدّق الآن هه؟.. تصدّق؟!
لا! أنت تكذب (ينشج باكياً)
((ربّما قسوت عليه، ولكن بعد قليل ينسى..!))
*
ينهض العجوز وهو يمسح دموعه..
مالك؟! تريد شيئاً؟
أنا ذاهبٌ إليها..!!
إلى المقبرة؟
تسكن هناك؟!
بل ميّتة!.. تفهم معنى ميّتة؟!
أمّي لا تموت!.. أنت لا تعرفها!
أمّك ماتت مااااتت غضبانةً عليك تفهم!؟!
أمّـي..!؟ تغضب عليّ!؟..ألم أقل لك.. إنّك لا تعرف أمّي..!!

استجواب عن الحب

قصة : سيرغي فورنين
ترجمة : أحمد ناصر

- لم أسألك سابقاً، لكنني، وقد بلغت العشرين من عمري، أريد أن أعرف لماذا أنا دون أب.
- ولماذا يجب أن تعرفي ما حاولت نسيانه طوال عشرين عاماً؟
- ما قلته لك سابقاً. قولي «مات في الحرب»، قولي ذلك لأي شخص لا يعنيه كثيراً معرفة هذا.
- لكن إذا كان من الضروري أن يعرف البعض ذلك؟
- هؤلاء (البعض) يعرفون بطبيعة الحال.
- وإذا كان ثمة إنسان لا يعرف عني شيئاً، ويريد أن يعرف كل شيء؟
- وما حاجته إلى ذلك؟
- حدثيني عن والدي؟
- لم يكن لك أب يوماً !
- وهل خلقت من الروح القدس؟
- يجب ألا تكلميني بهذه اللهجة !
- اعذريني، لن أعود لمثلها، لكن حدثيني عن أبي.
- وأية فائدة ستجنيها من ذلك؟
- أريد أن أعرف من هو، ولماذا تركك !
- ألا تعلمين أنه تركني؟
- هذا ما أعرفه سابقاً، لكن لماذا تخلى عنك؟
- تسير الأمور بأشكال شتى.
- وكيف سارت لديك؟
- وما حاجتك إلى ذلك؟ فليس لك أب.
- وهل هو حي يرزق؟
- هذا لا يهمني على الإطلاق.
- لكنه يهمني، قصي على ما حدث لك منذ البداية.
- ولكنني لست صغيرة!
- هذا ما يزيد الأمر سوءاً. يجب أن تعلمي – ثمة أمور لا يمكن التحدث بها حتى إلى أقرب الصديقات، فكيف سأحدث ابنتي عنها؟
- يمكنك ألا تحدثي صديقتك بذلك، لكن يجب أن تحدثيني به. يجب أن أعرف ما حدث لك مع والدي. يكفي ما نالني من أترابي، أتذكرين يوم جئتك باكية ولم تستطيعي تهدئتي. قلت لهم، وقتها، إن أبي قد مات في الحرب، كما علمتني، لكنهم استغرقوا في الضحك حتى إن (فيتكا لابشين) صرخ قائلاً إنه لم يكن لي أب قط، وقذفني بكلمة بذيئة أتذكرين ذلك؟
- أذكر.
- وأكدت لي مرة أخرى أن أبي قد مات في الحرب. خرجت إلى مدخل البناية وصرخت مؤكدة أن أبي قد مات في الحرب. بيد أنهم كانوا يعرفون ما أجهله فانفجروا ضاحكين من جديد وراحوا يشاكسونني. فماذا حدث لك؟
- وما أهمية ما حدث لي؟ فأنا لم أخطئ بحقك أو بحقه.
- تكلمي منذ البداية.
- أنت قاسية.
- أبداً. الأمر يخصني كما يخصك. أنا لست غريبة وأتألم لما حدث لك، فمن هو؟
- وإذا قلت لك أنه كان جندياً؟
- وقتها كان كل الرجال جنوداً.
- طبعاً، كان ذلك في أثناء الحرب.
- وماذا كان يعمل قبل الحرب؟
- تتحدثين معي كالغريبة.
- أبداً يا ماما يجب أن أعلم.
- حسن، لست أدري ما الذي ستجنيه من ذلك، لقد كان طالباً.
- كان طالباً؟
- نعم.
- كيف تعرفت إليه؟
- وما حاجتك إلى هذا؟
- أريد أن أعرف كل شيء كي لا نعود إلى هذا الحديث كرة أخرى، فكيف تعرفت إليه؟
- كيف تعرفت إليه؟ لقد قدم إلى «ميصي»، ثمة قرية تحمل هذا الاسم تقع بالقرب من مدينة (بيرما) وكنت أسكن وأمي هناك مع البعض ممن نزحوا.
- وهل علمت جدتي بتعارفكما؟
- أبداً لم تعرف شيئاً. لكن هذا أمر مشين، فالأم يجب أن تعرف كل شيء.
- ولماذا لم تحدثيها بذلك؟
- لا أدري لعلني اختجلت.. ألا تخفين أنت عني شيئاً؟
- وأي شخص كان أبي؟
- لم تجيبي على سؤالي.
- حتى الآن لا أستطيع أن أجيبك. حدثيني عن أبي.
- لا، لا أستطيع، فأنت تسألين عن أشياء..
- عم أسأل؟ وأي ضير في أسئلتي؟ فلو أنه مات فعلاً في الحرب لحدثتني عنه.
- لوأنه مات في الحرب..
- لكنك لم تدري أنه سيتركك، ولست مخطئة على الإطلاق؟
- لا.
- أي شخص كان هو؟ وهل أنا أشبهه؟ أنت قصيرة وأنا طويلة، فهل أشبهه؟
- أجل كان طويلاً.
- ومرحاً؟
- مرحاً.
- وغير ذلك؟
- لقد أحببته.
- أكان جميلاً؟
- لم أفكر في هذا، لقد أعجبني كل شيء فيه.
- وهل عرفته جيداً؟
- لم أعرفه بالشكل الكافي، لكنني أحببته.
- وهل أحبك هو؟
- لعله. لكنني لم أفكر بذلك.
- لكنك، حتماً، فكرت بأنه يحبك.
- طبعاً، من دون هذا لا يمكن. لقد أحبني، وقال لي مراراً أننا سنبقى معاً بعد انتهاء الحرب.. وراسلني من الجبهة..
- وهل احتفظت بالرسائل؟
- لا.
- لماذا؟
- لقد احتفظت بها طالما وثقت من رجوعه.
- ومتى مزقتها؟
- حين أتممت السادسة عشرة.
- انتظرته ستة عشر عاماً؟!.. مسكينة يا أمي، ولم يكتب إليك خلال هذه المدة؟
- لا.
- وأنت؟ أكتبت له؟
- لا.
- ولم تريه بعدها؟
- لا.
- إذاً كيف تعلمين أنه تركك؟ لعله مات في الحرب؟
- لا.
- وكيف تعرفين؟
- أعرف.
- إذاً، هو حي؟ وهل يعرف أنني لديك؟
- لا.
- ولماذا لم تخبريه عني؟
- لقد كتب في رسالته الأخيرة أنه سيتزوج بأخرى، فلماذا أخبره عنك؟
- ربما كان قد رجع، فيما لو عرف بوجودي.
- إذا كان لم يرجع من أجلي، فهل تستطيعين إرجاعه؟ وقتها لم تكوني قد خلقت بعد.. إجمالاً، كفانا حديثاً بهذا الشأن..
- يعني أنه حي، أين هو؟
- بعيداً.
- وما أدراك؟
- لقد كتبوا عنه.. مدحوه..
- وهل كتبت له؟
- أبداً.
- لماذا؟ كان يتوجب عليك أن تكتبي له عني.
- ولماذا؟ ثمة أسرة لديه هل تظنين أنه سيتخلى عن بقية أولاده من أجلك؟أنت غريبة عنه تماماً.
- لكن لماذا لم يبق معك؟
- لا أدري.. لعل تلك المرأة كانت قريبة منه.. ثم لعلها أفضل مني..
- وكيف استطاع ألا يشفق عليك؟
- الحب لا يعرف الشفقة.
- كيف ومتى يقعون في الحب من جديد؟
- عندما.. عندما يكفون عن حب الحبيب الأول.
- وهل قاسيت الكثير؟
- لم يحصل هذا دفعة واحدة. كتب لي رسائل عدة. انتظرته بحزن ثم تلقيت الرسالة الأخيرة. في البداية لم أصدق، وفكرت : سيرجع.. كثيرًا ما يحاكم الإنسان الأمور بحدسه.. ومع ذلك انتظرته.. ثم تعودت..
- ولم تحبي أحدًا غيره؟
- لا.
- وماذا يعمل هناك؟
- كبير المهندسين. لكنني لم أقرأ عنه كل شيء، كانت، ثمة صور له بين أسرته ومع البنائين.
- وهل احتفظت بهذه الصور؟
- لا.
- لماذا لم تحتفظي بها، فهو والدي على أية حال؟!
- لم يكن لك أبٌ يوماً!
- ما اسم عائلة أبي؟
- لا حاجة لك بهكذا معرفة.
- إنه أبي.. ومن المهم أن أعرف.
- لا أهمية لاسم عائلته؟ حتى لو تقابلتما فلن يكون والدك. أنتما غرباء تماماً وحتى لو عاد، فقد تأخر حياة بكاملها. يجب ألا تفكري به، ثم يكفيني ما فكرت أنا به طوال هذه الأعوام. يكفي حديثاً عنه. والآن أنت تعرفين كل شيء.

بإمكانك أن تحدثي مَن تشائين من دون أن تأخذك بأمك رحمة، مؤكد أنني امرأة ملفوظة..
- ولماذا سأتحدث؟.. ثم إن هذا يثير العطف ولا يدينك مطلقاً.
- يعود هذا إلى نوعية المستمع.. ولماذا سألتني؟ مع من تودين التحدث بهذا؟
- كل شيء قد يحدث..
- كنت صريحة معك..
- لكن لم يحصل لي ما حصل لك..
- هذا ما ينقصنا! ومن هو!
- طالب.
- طالب؟
- نعم لكن لا وجود للحرب.
- وهل تحبينه؟
- إنه يعجبني.
- وهل تعرفينه منذ مدة طويلة؟
-وهل لهذا من أهمية؟ قد تعرفين إنساناً لا يلفت نظرك خلال أعوام طويلة.
- وهل لفت هو نظرك؟
- لقد رأيته.
- ماذا تعني كلمة (رأيته)؟
- لم يسترعي انتباهي أحد سواه.
- أتقابلينه كثيراً؟
- في الآونة الأخيرة كل يوم.
- لماذا لم أدر بذلك؟ لماذا لم تخبريني؟
- لكنك لم تخبري جدتي حين تعرفت على والدي؟!
- لقد أسأت التصرف !
- لكنك لا تعرفينه مطلقاً، فكيف ستنصحينني؟
- تستطيع الأم أن تكشف الخطر.
- وأي خطر؟
- خطر الأخطاء.
- وأية أخطاء؟
- كي لا يحدث معك ما حدث معي.
- لن يحصل لي ما حصل لك.. ثم إن الفرد هو الذي يقرر في مسألة الحب.
- يعني هذا أنك تحبينه.
- يعجبني.
- لماذا سألت عن والدك.. وهل خامرك الشك؟
- أبداً، لا شك في نفسي، لكن ربما سألني، عليّ أن أقول الحقيقة.
- لا تقولي له هذه الحقيقة..
- وهل تخشين أن يسلك السلوك نفسه الذي سلكه والدي معك؟
- وهل تطورت معكما الأمور إلى هذه الدرجة؟
- لا أدري عما تتحدثين.
- أحضريه إلى هنا وأريني إياه.
- أستطيع أن أدعوه، لكنني لا أرى سبباً لذلك.
- لا أريد أن تتكرر القصة معك ذاتها.
- لكن هذا حصل معك..
- أوتعتقدين أنني أقل منك شأناً؟ وهل تعتقدين أنني كنت كحالي الآن؟ تستطيعين أن تنظري إلى صوري. وبماذا انتهيت؟ لا أريدك أن تعاني مما عانيت.
- حالنا تختلف تماماً فهو يحبني.
- وذاك أيضاً أحبني!
- ليس تماماً.
- وكيف عرفت ذلك؟ لا أريد، لا أريد حتى أن أسأل عنه!
- لكنك لم تعرفيه بعد.
- أعرف. كلهم، كلهم متشابهون. إذا كان يحبك فليتزوجك. ولا تتجرئي على تقبيله، فأنا أمنعك عن ذلك، أتسمعين؟
- وهل تمنعين عني الحب؟!
- فليتزوجك!
- مجرد أنه يوصلني إلى البيت.. في نهاية الأمر قد يتطلق المتزوجون..
- يا إلهي، يا إلهي، لا أريد أن تكوني، أنت أيضاً، شقية!
- إنني سعيدة. كيف يمكنك ألا تفهمي أنه إنسان طيب! إنه يحبني! بالأمس قال إنه يحبني وقبلني لأول مرة. لا تصفينه بسوء فهو جيد، جيد. لماذا تبكين؟!
- فليزرنا.. فليأت إليّ ! سأنظر إليه.. قد يكون طيباً.. أطلب من الله أن يكون كذلك!..

بلاغة لغة الغموض في التعبير الأدبي /تتمة/

ويخفف من غموضه في موضع آخر مثل قوله:

بكرن ضرا وبكرت نفعا
وسجسج أنت رهن زعزع
وواحد أنت رهن أربـع
وأنـــت نبـــع

بين الغموض والأسطورة

تكاد الأساطير بصفة شبه عامة أن تكون حالات غامضة، وما يحدث في الأساطير، يصعب أن يحدث على أرض الواقع. العلاقة بين الأسطورة والغموض علاقة ثنائية يغتني كل شكل بالآخر في الكثير من الأحداث والوقائع.

اهتم علماء الأركيولوجيا والأنتربولوجيا بعملية البحث عن الأسطورة، لأهمية ما ترويه الأساطير، ويمكن أن نرى بأشكال مختلفة امتداد جانب من هذه الأساطير إلى وقتنا الراهن، لأن بعض التصرفات الغامضة التي ما يزال يقوم بها الإنسان، يمكن للأسطورة تقديم تفسيرات وخلفيات لها.

يرى / مرسيا إلياد / أن الأسطورة هي : / تأريخ ما حدث في ذلك الزمان، وقول أسطورة هو إعلان ما حدث في الأصل، وهي إذا قيلت، فمعنى ذلك أنه أوحي بها.

والأسطورة تعني ظهور وضع كوني جديد، وحدث بدئي، وهي دائما رواية خلق تروي كيف حدث شيء ما، كيف بدأ يكون.

تروي لنا الأسطورة تاريخًا مقدسًا، حدثًا بدائيًا، جرى في بداية الزمان، لكن رواية تاريخ مقدس تعني الكشف عن سر، لأن شخصيات الأسطورة ليست كائنات بشرية، هم آلهة، وأبطال حضارة، ولذلك كانت بوادرهم أسرارًا لا يسع الإنسان معرفتها، إذا هي لم توح له.

وفي الأسطورة جانب يبين أهميته على وجه الخصوص، وهو الجانب الذي يكشف عن القداسة المطلقة، ويحكي لنا عن الفعاليات المطلقة التي تقوم بها الآلهة، ويميط اللثام عن قدسية أعمالهم /.

الأسطورة في اللغة العربية مشتقة من السطر، والسطر هو الصف، كالشجر، والكتاب، والشعر، وهو تعريف قريب إلى المعنى الأصلي للكلمة البابلية / شطر / فقد وردت في قوانين حمورابي / المواد 177 - 146 - 171 / بمعنى كتب - وثق - أوصى. كما وردت بمعنى كتابة مثل: شومو.. شطرو.

أبطال الأساطير هم آلهة، ويتمحور موضوع القصص، أو الحكايا حول البشر وآلهتهم، ففي دنيا الأساطير يتألف الكون من السماء، والأرض. والسماء قصر الآلهة العظام الأمر الذي أدى إلى فصلها عن الأرض على يد إله الهواء / أنليل / الذي أبعد ولده / آن / إله السماء عن والدته / سمي / إلهة الأرض.

تدور الأساطير الرافدية والسومرية والإغريقية حول نصح البشر بعدم التمرد على الآلهة، وأن عقاب الآلهة لا يكون للفرد الذي تمرد فحسب؛ بل للجماعة التي يعيش فيها أيضًا. وكمثال على هذا العقاب الجماعي، حينما ينتهك البستاني / شو كليتودا / عرض / أنانا / إلهة الحب والخصب السومرية، عندما تستريح في بستانه بعد عودتها من السفر وأخذ قسط من راحة، فإنها لا تتوانى من إيقاع الأذى لبلاد سومر منتقمة لعرضها.

ثم تأتي عشتار البابلية لتتحول إلى قوة مدمرة تهدد الإله / إنو / نفسه مالم يمنحها / ثور السماء / كي تتمكن من إهلاك جلجامش، وأنكيدو لأن جلجامش يصر على فضحها في كل مكان، وبذلك ينال من مقامها.

كما أننا نقع على آلهة شريرة تسعى لإلحاق الأذى بالبشر، فنرى مواجهة من آلهة الخير التي تتصدى لها وتمنعها من ذلك.

تحاول / تيامة / أن تقضي على جميع الآلهة فتكون هي مصدر الكوارث، في حين تقوم الآلهة الأم الطيبة / ننخرساج / بمحاولات إصلاح بين الآلهة، كما نجد الإله / آنكي / و / آن / يقدمان العطاءات للبشر، ويسعون للتخفيف من آلامهم.

كلمة الختام

يجنح الإنسان إلى الغموض، كما يجنح إلى الوضوح، يجنح إلى اليأس، كما يجنح إلى الأمل، يجنح إلى السوداوية، كما يجنح إلى التفاؤل.

يتحدث الإنسان لغات عديدة وفق المواقف التي تواجهه: لغة النظرات، لغة الحركات، لغة التجهم، لغة الابتسامة، لغة السخرية، لغة الدموع.

من هنا تناول الأدب هذه الحالات التي يجنح إليها الإنسان في مختلف أجناسه، فنرى العقلاء في بعض الروايات يجنحون في بعض المواقف إلى السوداوية، إلى التمرد عن القواعد السلوكية التي عُرفوا بها، وما ذلك إلا إشارة بأن الإنسان أحيانًا يستعين بما لديه من طاقات حتى يواجه بعض المآسي والكوارث التي تقع عليه بغتة، وقد تناول الأدب هذه الظاهرة بجدية لدى الإنسان، وركز عليها، ونظّر لها، وقدم تحليلات لها سواء بلغة مباشرة، أو رمزية.

يمكن للقارئ أن يقرأ قراءات متعددة للأدب الذي يمكن إدراجه ضمن مذهب الأدب الغامض، بحيث يحتمل هذا الإبداع الأدبي تأويلات متعددة كونه لايفصح عن مبتغاه بشكل واضح.

هنا تكمن أهمية هذا اللون من الأدب؛ بحيث يكون إضافة غنية إلى الوظيفة التي يسعى إليها الأدب.

المراجع

1 - المعقول واللامعقول في الأدب - كولن ولسن - دار الآداب - بيروت
2 - الأواني المستطرقة - أندريه بريتون
3 - المسخ - رواية - فرانز كافكا - ترجمة منير بعلبي - بيروت
4 - في مستوطنة العقوبات – فرانز كافكا - ترجمة زكي الأسطة
5 - الأسطورة في الرواية - ميشيل زيرافا - ترجمة صبحي حديدي - دار الحوار 1985
6 - ديوان المتنبي

(Endnotes)

- هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد من بني العباس . وقد عُرف بأبي العبر الهاشمي ، وينتمي إلى أسرة تتمتع بمكانة اجتماعية وأدبية ، وقد تأثر بشخصية أبيه الذي كان أديبا .

القصة... /تتمة/

قرنوا أعمالهم بالمقامة مثلاً، وأنّ إحدى أهم خصائص هذا النمط الأدبي هو الطواف المستمر لبطليه اللذين يتجولان في كل العالم الإسلامي تقريباً من دون أن يعبرا حدوده. وهذا المبدأ يميل بالمقامة صوب نوع أدبي آخر في غاية الأهمية في الأدب الكلاسيكي، وهو أدب الرحلات. وفيه يروي الحجّاج والعلماء والسفراء والمغامرون عن طريق الكتابة حكايات أسفارهم التي اقتصرت هي الأخرى على حدود الدولة الإسلامية، حتى أنّ أكبرهم ابن بطوطة الذي وصل حتى حدود الصين تجاهل البلدان الأوروبية. لكنّ الأمور تغيّرت مع حلول القرن التاسع عشر، فعاش بعض الكتّاب في باريس ولندن كي يكملوا دراستهم (أو لأشياء أخرى) نفسها، وتركت هذه الإقامة بلا ريب أثرها في تعديل نظرتهم إلى أوروبا وفي تطوير إنتاجهم الأدبي.

يجدر بنا ذكر كاتبين لبنانيين كانت لكلٍّ منهما نظرته الخاصة بأوروبا، علماً بأنهما عاشا في الفترة نفسها من التاريخ. الأول هو ناصيف اليازجي (المتوفى سنة 1871) الذي لم يشأ أن يتعدّى حدود بلاده ولم يتعلّم أي لغة أجنبية، فبقي لهذا أسيراً للمقامة في كتابه (مجمع البحرين)؛ أما الثاني فهو أحمد فارس الشدياق (الراحل عام 1887) الذي مكث طويلاً في لندن وباريس، فتعلّم اللغتين الإنجليزية والفرنسية وألّف كتاب (الساق على الساق) الذي يشبه في الكثير من ثناياه كتاب (حياة وآراء تريسترام شاندي) للكاتب ستيرن. وكانت أولى الروايات العربية تشبه في ماهيّتها أدب الرحلات وروايات النشوء معاً، إذ تدور أحداث معظمها فعليّاً حول تجربة واحدٍ من العرب حين يدخل في تماسٍ مباشر مع الثقافة الأوروبية، حاملاً على كتفيه تاريخه الهائل، ويسعى شيئاً فشيئاً إلى هضم قيم الحداثة واستيعابها من دون أن يخذل من أجل ذلك فضائله القديمة. ونذكّر أنّ الشدياق أصدر روايته الأهمّ (الساق على الساق) في باريس؛ حيث سيكتب محمد حسين هيكل لاحقاً رواية (زينب) عام 1914. ولعلّه من المفيد أن نتوقّف عند الموبلحي لكي نفهم بشكل أفضل كيف تمّ الانتقال من المقامة إلى الرواية. إنه كاتب مصري رحل في عام 1930، وألّف روايته (حديث عيسى بن هشام) وأصدرها على حلقات متتالية ثم ضمن مجلّد واحد عام 1907. لا يعرّف الكاتب عمله بوصفه (قصةً) أو (حكاية)، وإنما (حديثٌ) يستنبط مادته الخام من مقامة الهمذاني التي يأخذ منها اسم شخصية الراوي (عيسى بن هشام)، ثم يقوم بتجريدها -أي المقامة- من طبيعتها وبتحريف القصد من ورائها. فبينما تستقلّ حكايات الهمذاني بعضها عن بعضها الآخر، تتموضع فصول كتاب الموبلحي وفق تسلسل زمني، ويعدّ ترابط الأحداث فيما بينها واحداً من المظاهر التي يمتاز بها مؤلَّف الموبلحي عن أيّ مقامةٍ أخرى. نقطةٌ أخرى لا تقلّ أهميّةً هي عزوف الموبلحي عن إدخال الشعر في حديثه؛ إذ ترك النثر يسرح فيه عنوةً، في حين أنّ الشدياق أقحم بعض القصائد في (الساق على الساق). ثمّ إنّ الروائيين العرب اللاحقين سيتّبعون الموبلحي بطردهم للشعر من رواياتهم، متنازلين بذلك عن واحد من أهم العناصر في التقليد الروائي العربي؛ فما من مقامة أو سيرة أو نادرة أو خرافة إلّا وقد كان الشعر من الثوابت الراسخة فيها وفي طريقة حكاية الحدث الكلاسيكية. ولا تبدو الرواية الغربية الحديثة أكثر تسامحاً في شأن الأزمة الشعرية. لا ننكر أن ثمة حضوراً للنصوص الشعرية في (دون كيشوت)، لكنّ الرواية بالمجمل تسعى إلى تحاشي المادة الشعرية لأسباب عديدة، من أهمها ضرورة أن يكون النصّ قابلاً للترجمة مباشرةً. وقابلاً للانتقال بسهولةٍ بالتالي من لغةٍ إلى أخرى.

يرافق الانصراف عن الشعر هجرانٌ للتأنّق اللغوي المفرط ولاستخدام الألفاظ الميتة والسجع والتصنّع البلاغي. فكانت الأعمال الكلاسيكية، كأعمال الهمذاني والحريري، تميل إلى الغموض لأنها تحتاج إلى تفسير مستفيض للدلالات الثقافية وللأمثال وللشخصيات المتتالية، ناهيك عن شرح للمفردات. وغالباً ما كان المؤلفون أنفسهم يعلّقون على أعمالهم؛ إذ يتلهّف الكثيرون منهم إلى شرح أعمالهم أو رؤية غيرهم ينكبّون على شرحها. وكان الأفول حتماً هو مصير هذه العادة ما إن أطلّت الرواية بوجهها، فالراوي يرفض أن «يترجم» نفسه.

وكان لوجود البعد الأوروبي الأثر الأكبر في تحويل المقامة جذرياً، وفي جعل (حديث عيسى بن هشام) رواية حقيقية بحتة. تبدأ القصة بحلم: بينما تتجول شخصية الراوي بالقرب من المقبرة، فإذ بأحد القبور يُفتح ليُبعث منه حيّاً أحد الباشوات من حقبة محمد علي سلطان مصر. وسرعان ما تنخرط الشخصيتان بسلسلة من المغامرات الطائشة والتي تدور أحداثها في القاهرة، وبعدها في باريس. ينتقل الباشا من مفاجأة إلى أخرى بعودته من عالم الموتى؛ وتكمن وظيفة صاحبه المخلص عيسى بن هشام في شرحه للباشا الأحداث التي غيّرت وجه العالم، وفي إعانته على التأقلم مع هذه الحياة الحديثة. ومع أنّ موضوع قيامة أحد الأشخاص من عالم الماضي ليلقي نظرةً ساذجةً قلقة حيال الأشياء الجديدة في عالم الحاضر لهو من المواضيع الأدبية المطروقة، لكنّ هذا لا يحول دون أن يكون لهذا الموضوع هنا مغزىً عميق: فهو مجازٌ ضمنيّ لحال العرب الذين استيقظوا من دون رغبةٍ منهم في صباح عالمٍ حديث لم يشاركوا في تأسيسه، وإنما شيّدته أمم أخرى في فترة غيابهم الطويلة، فلا يستطيعون الاعتراف به ولا هم قادرون على أن يعرفوا أنفسهم فيه، فعالمهم الأصلي قد اختفى اليوم، وعليهم من الآن فصاعداً أن يواكبوا عالم الأوروبيين الجديد. كتب توفيق الحكيم بعد مرور بضع سنين عملاً مسرحياً أطلق عليه اسم (أهل الكهف)، مستنداً على القصة القرآنية لسبعة رجال مؤمنين غلبهم النعاس في كهف لأكثر من قرون عدة ، فأفاقوا في عالم مبهم حديث العهد؛ كما أصدر الكاتب نفسه أيضاً رواية تحاكي الموضوع ذاته بعنوان أشد بلاغة، وهي (عودة الروح).

يشبه (حديث عيسى بن هشام) للموبلحي كتاب (الساق على الساق) للشدياق في وضعه للمقارنة بين زمنين، ماضي العرب وحاضرهم، وبين مكانين، الشرق وأوروبا. ويبقى التفريق بين هذين العالمين ليس نقياً كفاية، فالشرق خسر الكثير من عذريته. في كتاب الموبلحي لا تقع أوروبا على الضفة الأخرى من البحر المتوسط فحسب؛ بل على الضفة ذاتها أيضاً؛ فالباشا لا تذهله باريس بقدر ما تذهله القاهرة، كون النظام القضائي المصري يعتمد السجل النابليوني، والشوارع لها أسماء، والبيوت لها أرقام، والناس ترتدي ثياباً غربية وتستخدم المصباح الكهربائي وتزاول عادات مختلفة... كلّ ما ذكرناه يشير إلى أنه انتقل من زمان إلى آخر، بل من مكان إلى آخر أيضاً؛ هكذا يصف الموبلحي دخول العرب في الحداثة والوضع الراهن الذي يقوم عليه العالم.

معظم الروايات التي صدرت بعد هذا الكتاب -وتعد اليوم أعمالاً خالدة- قامت بوصف حالةٍ مماثلة، يسلك كلٌّ منها دربها الخاص فيها. نذكر مثلاً (عصفور الجنة) لتوفيق الحكيم، (قنديل أم هاشم) ليحيى حقي، (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، (الحي اللاتيني) لسهيل إدريس. ومذ أن توغّلت أوروبا ولغاتها في جنوب المتوسط، أصبحنا لا ندهش إذا سمعنا عن روائيين عرب -ومغاربة بالتحديد- يكتبون رواياتهم بالفرنسية مثلاً. كان الأدباء في العصور المنصرمة يتغنون بمقارنة السيف مع القلم، والطبيب مع الفلكيّ، والناثر مع الشاعر، والأدب مع الفلسفة. أما اليوم فالمقارنة تجري بين الشرق والغرب، بين العالم العربي وأوروبا. بالنسبة إلى الكاتب العربي، فإنّ تأليف الرواية يعني اتخاذ وضعية مسؤولة -سواءً كانت مباشرة أم لا- في خضمّ النزاعات الجدلية بشأن تحديد القيم المثلى للمكان وللمكان الآخر.

بقيت لدينا نقطةٌ أخيرة تستحق الذكر مهما كانت قليلة الأهمية: كان العرب يعتقدون أن الشعر يشكّل الجزء الأفضل من ثقافتهم؛ إذ كان عنوان أمجادهم و(ديوانهم) الذي يؤرخ كلّ عاداتهم ويسجّل كلّ انتصاراتهم. أما الأدب الروائي فكان يأتي دوماً بالمرتبة الثانية؛ لم يكن هذا ليخطر في ذهن ثربانتس الذي كان يرى العرب بوصفهم رواةً عظاماً ومؤرخين قديرين ومبدعي حكايات (ربما بسبب هذا الرأي أوكل مهمة تأليف الدونكيشوت إلى أسمر يدعى سيدي أحمد بن نجالي)؛ ولم يكن ذاك ليخطر في ذهن أنتوان غالان الذي كان يقدّس (ألف ليلة وليلة) مصرحاً أنه «لم يشهد في حياته كلّها أسلوباً يماثلها روعة وجمالاً في أي لغة على الإطلاق»، وهو الذي حذف النصوص الشعرية من الكتاب عندما قام بترجمته. أما اليوم فإن النمط السرديّ يلعب دوراً مهماً جداً في المشهد الأدبي العربي المعاصر، لدرجة أنه من الممكن أن تسمع من يقول إنّ الرواية هي (ديوان) العرب الحقيقيّ؛ أو (ديوان) بمعنى الأريكة المريحة إذا شئت؛ بل بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى.

طيور الفرح القادم عند نصر أبو إسماعيل

للتفاح زوبعة عند الشاعر نصر أبو إسماعيل وعنده أيضاً أمير للعصافير ولا ينسَ في مجموعته الجديدة «طيور الفرح القادم» الصادرة هذا العام عن اتحاد الكتاب العرض ضمن سلسلة الشعر ان يوجه خطاباً للسياب وأن يكتب بوحي من الشابي حاشية أو قصيدة النار في جمهورية الميدان.

المجموعة في 130 صفحة ومن أجوائها

وحين أضيع في دوامة الأيام
تمسح غيمة الأحزان عن وجهي
أنامل برقك الخضراء
تنسكبين فوق حدائقي العطشى
سحائب ياسمين
ثم تنطلقين بين يديَّ أغنية مقنعة
وتشتعلين زوبعة من التفاح

نداء الروح رانيا مصطفى حمدوني

عن دار الهلال للطباعة والتوزيع صدر للقاصة رانيا مصطفى حمدوني مجموعة «نداء الروح» وتضم: غربة، نداء الروح، حب أعمى، الإرادة المحتجبة، المجنون الحكيم، أبو الطيب، الفتان، كيف الحال، قصة القطرة، عناق الحبيب.

ومن أجوائها: وبدأ يدور ببطء، وتحركات شاعرية يتحرك بانسيابية وكأن نسمة لطيفة تمسك بيده وتراقص في الهواء.

وكان يدور باسماً وصامتاً وكأن ما كان يعتريه تفجر عن رسمه الخطوط والألوان وتغنى أمام جماله الكلمات.

المجموعة في 245 صفحة من القطع المتوسط.

مسابقة في الشعر والقصة القصيرة

يهديكم اتحاد الكتاب العرب /فرع السويداء/ أطيب أمنياته ويسره أن يعلن عن مسابقة في الشعر والقصة القصيرة /لمن هم دون سن الخامسة والثلاثين/ في محافظة السويداء، وفقاً لما يلي:

أولاً ـ شروط المسابقة:

1 ـ يجب أن تكون القصائد والقصص باللغة العربية الفصحى، ولم تنشر بعد.

2 ـ المشاركة محصورة بالشعراء والقاصين الشباب في محافظة السويداء حتى حدود الخامسة والثلاثين من العمر.

3 ـ ترسل المشاركات على ثلاث نسخ مطبوعة باستخدام الكمبيوتر مع قرص مدمج CD وصورة عن البطاقة الشخصية ورقم الهاتف والموبايل إلى اتحاد الكتاب العرب فرع السويداء.

4 ـ تبدا المسابقة من 1 أيار 2012 وينتهي استلام المشاركات في 20 منه، في مقر اتحاد الكتاب العرب في السويداء.

5 ـ تشكل لجنة التحكيم لاحقاً لدراسة النصوص المشاركة وتحديد النتائج.

6 ـ يرعى هذه الجائزة اتحاد الكتاب العرب فرع السويداء.

ثانياً ـ الجوائز التشجيعية:

الشعر:

*الجائزة الأولى: /5000/ ل. س.
*الجائزة الثانية: /3000/ ل. س.
*الجائزة الثالثة: /2000/ ل.س.

القصة القصيرة:

*الجائزة الأولى: /5000/ ل. س.
*الجائزة الثانية: /3000/ ل. س.
*الجائزة الثالثة: /2000/ ل.س.

ثالثاً ـ توثَّق القصائد والقصص المقدمة ويتم العمل على طباعتها.

جدول نشاطات فرع اتحاد الكتاب العرب بدير الزور خلال شهر أيار /٢٠١٢/

ـ السبت 2012/5/5 محاضرة يشارك فيها د. شاهر امرير بعنوان مسرح الطفل وسيطاً تربوياً.

ـ السبت 2012/5/12 محاضرة يلقيها د. محمد حسن عبد المحسن حول جماليات اللغة العربية في عيون الأدباء.

ـ السبت 20125/5/19 محاضرة يلقيها د. ياسين فاعور حول القدس في الشعر العربي الفلسطيني.

ـ السبت 2012/5/26 محاضرة يلقيها د. أحمد زياد محبك حول اتجاهات النقد الأدبي الحديث.

تقام جميع النشاطات في مقر الفرع الساعة 12,30 ظهراً.

والدعوة عامة.

قصص المعركة الأخيرة لعدنان كزّارة بين الواقع والتخييل /تتمة/

التي جاء أثرها كارثياً، عبّر عنه بطل القصة قائلاً :« كانت الأرض كفناً أبيض والمدينة شرعت تنزع ثيابها قطعة قطعة لتلتف به..» ص25

في ظل هذا الحاضر المفعم بالانكسار والقتامة، يرتد أستاذ الفلسفة الشاب إلى الماضي عبر الذكريات، مستحضراً في قصة «لن يتأخر الجواب» حكايات الشيخ العجوز عن مقاومة الفرنسيين في العقود الخاليات حتى بلوغ الاستقلال، وبذلك يؤكد عدنان كزارة مجدداً على ما أكدت عليه القصة السورية والعربية عموماً من انحياز إلى الماضي المشع بزهو انتصارات معارك الأجداد الغابرة، بينما انكسارات معارك الراهن وهزائمها ما انفكت عن سياقاتها، وما برحت تحيط بأقلام كتابها من كل جانب، وكما عقدت القصة الفلسطينية عزم مراهنتها على المقاومة الفدائية المسلحة سبيلاً للفكاك من هذا الراهن وهزائمه وانكساراته، يمضي القاص كزارة في سياقه السردي بالرهان عينه، تاركاً لبطله قبل الختام استحضار صديقه الذي استشهد في عملية فدائية، ليقدم من خلاله ومضة تفاؤلية لحاضر آخر قادم، وجد ملامحه خبيئة في الصمت المصمم عبر الوجوه الآتية من الذاكرة ومن شوارع المدينة التي يتنقل، فيها وقد وصفها الراوي قائلاً:

« ...تمعن في الوجوه، لم تكن غريبة، الشيخ، فاطمة، فاروق، فتى الخان...أراد أن يسأل عن الوجهة التي يتممها فتعثر بالسؤال، ثم أيقن أن الصمت المصمم في الوجوه لن يؤخر الجواب..» ص73

بهذه الخاتمة التي لا تأتي بالنهاية الصريحة، ويتداخل في بنيتها السردية المفتوحة ماضي الذاكرة التاريخية وحاضر الصورة البصرية، يشكل السياق القصصي الصمت المكتنز الواعد الذي له صوته المتجاوز للثرثرة حسب تعبير مالك بن نبي، كما أنه يُعَد الفضاء الذي تتجمع فيه عناصر الحركة كما يقول ايغهارت؛ إضافة إلى كون أحداثه جزءاً من ذاكرة الراوي العليم المشاهد حيناً والمشارك حيناً آخر في أحداث قصص المعركة الأخيرة، التي اعتمد القاص عدنان كزارة في نسيجها الفني على التراتبية السردية، كما في قصص " اغتيال وبين فنجاني قهوة ويوم تعانق السعادتان..." بينما اعتمد على السرد المتقطع والسرد الدائري في قصص " المعركة الأخيرة لسيف عربي ولن يتأخر الجواب وفي الهزيع الأخير..." وإذا كانت هذه القصص قد جاء مدخلها المركزي متمحوراً حول مسمى المعركة الأخيرة لسيف عربي، فإن الواقع التسجيلي المعاش والفني المتخيل يؤكد بمساحاته المتبقية أن ثمة معارك أخرى مازالت ناشبة على جبهات الحياة ومستعرة بكل آلامها وأحلامها العصية على الانتهاء..

الأسبوع الأدبي

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120$ - للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu-dam.org
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
ـ غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
ـ منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
ـ لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
ـ يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
ـ يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
ـ لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

هي بلطجة بعينها ولكن ممن؟!

السيد رئيس تحرير جريدة الوطن المحترم

تحية عربية:

اطلعنا في اتحاد الكتاب العرب على ما نشرته صحيفتكم في عددها رقم /1392/ تاريخ 2012/4/22م في الصفحة 14 بتوقيع السيد إسماعيل مروة وتحت عنوان شد انتباهنا إليه عنوة لما حمله من إثارة ومن وقائع مثيرة، وهنا انتابنا إحساس يصل إلى حد الفجيعة، إذ إن ما نشر قد جافى الحقيقة وتجنبها عن سابق إصرار وتعمد. ولا شيء أدل على ذلك من أن الزميل إسماعيل مروة وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب لم يكلف نفسه عناء الاتصال برئيس الاتحاد ولا بصاحب دار التكوين نفسه كما أفاد الدكتور محمد الشمالي، وكذلك لم يتصل بأي أحد من زملائه في الاتحاد للاستفسار منه عما حصل على وجه الدقة لا التخمين.

ولو أنه فعل ذلك لما سمح لنفسه بنشر إساءة بهذا الحجم لرئيس الاتحاد بصفته الشخصية والاعتبارية، وهو لم يقم في يوم من الأيام بدور بلطجي ولم يسطُ على مال أحد بشهادة الجميع، وكل ما جرى لم يخرج عن إطار التعامل الطبيعي بين الاتحاد وأي دار نشر، وهذه ليست المفارقة الغريبة في الرواية.

يقول السيد مروة: الآن فهمت؛ فقد أرسل الأستاذ الدكتور مراسله وهو لا يتوقع أن يأخذ البائع منه ثمن كتابيه...

ونقول له: يا للحقد ويا للضغينة، إذ كان السيد مروة قد تقدّم بمخطوط للاتحاد راغباً في تجاوز الآليات؛ فلم تُلبَّ رغبته... ثم ها هو ذا ينصب نفسه حامياً للقيم، ويحكم على قضية لم يعرف عنها شيئاً، ولا سيَّما حين زعم أن الدكتور رئيس الاتحاد تحدث بفوقية غير مسوغة لذلك استشاط سامي غضباً.

ونقول له: كان في مكتب رئيس الاتحاد أكثر من زميل، منهم الدكتور محمد الشمالي والدكتور إبراهيم الجرادي ود. نزار بني المرجة والزميل منير الرفاعي، وهم يشهدون بكل ما جرى، فليُسأل أي منهم عن ذلك..

وإثر النشر المذكور استنكر السيد سامي أحمد كل ما نشر ورفض هاتفياً كل ما جاء على لسان مروة وهذا ما صرح به الشمالي لرئيس الاتحاد.

وقبل أن نسأل عن مصلحة «الوطن» في استهداف رئيس اتحاد الكتاب العرب بهذه الصورة المزرية من «البلطجة» هل ندل القراء على السر وراء هذا الدس الرخيص؟!!

يقول مروة: «هل يجوز أن يكون هذا الشخص رئيساً لأهم هيئة مثقفين»، وهنا يحتفظ الاتحاد ورئيسه بحقهما في القيام بالإجراءات المناسبة، ومقاضاة صحيفتكم التي نشرت التشهير دون التحقق ومقاضاة الكاتب لما حملته زاويته من مساس بهما.

وتوضيحاً للرأي العام وإطلاع جميع الزملاء في الاتحاد ومنهم إسماعيل مروة بالذات وجميع القراء نسجل الواقعة كما هي.

صدر كتاب كرياك تسونيف ((لا أرض لهم.. على أرض غيرهم... البلغار والثورة السورية الكبرى))، وشارك في ترجمته إلى العربية الدكتور محمد الشمالي (المترجم ومسؤول العلاقات الخارجية في السفارة البلغارية) وقد أرسل رئيس الاتحاد السائق ومعه مبلغ ألف ليرة سورية وتم الشراء وقبل الإيعاز بالصرف أبلغ الدكتور الشمالي رئيس الاتحاد أن الكتاب يوزع مجانياً على المؤسسات الثقافية... وبأنه سيقدم للاتحاد عشر نسخ وهنا قام رئيس الاتحاد بسؤال صاحب دار النشر عن سبب بيع الكتاب وهو مجاني وعندما أبلغه ذلك طلب من رئيس الاتحاد إرسال السائق لاسترجاع المبلغ، وتم ذلك دون عناء.

ويؤكد السائق لجميع القراء أنه عندما استعاد المبلغ من شخص آخر غير الشخص الذي كان قد قبض المبلغ منه لم يكن أحد في غرفته.

وهنا نسأل: كيف نصّب السيد مروة نفسه شاهد عيان على ما أسماها «سرقة موصوفة»؟، وهل هي العدوى «تثاءب عمرو إذا تثاءب خالد؟»

وكيف يستقيم له اتهام شخص صراحة اتهامات باطلة يعرف كثيرون أنها عارية عن الصحة؟

إن ما كتبه المحرر فيه الكثير من الاستعراض وادعاء الشجاعة وتمثل مصالح الناس، وإساءة بالغة إلى مؤسسة ثقافية عريقة هي اتحاد الكتاب العرب.

وترى قيادة الاتحاد أن الأمر برمته لا يتعدى أن يكون إساءة مقصودة للاتحاد ممثلاً برئيسه، ولا سيما أنه يتلقى عدداً كبيراً من إهداءات كتب دور النشر كلها، علماً أن الكتاب الذي أثار الأمر قد أودع في مكتبة الاتحاد، وهو يوزع مجاناً في الأساس؛ بناءً على رغبة صاحبه في إطار علاقة ثقافية الاتحاد أحد طرفيها، ومع ذلك بعث السيد رئيس الاتحاد بطلب الكتاب مع ثمنه، وثمن كتاب آخر... وكل ذلك لا يستحق مثل هذا السلوك الاستعراضي الذي يدعيه السيد إسماعيل مروة.

ونحيطكم علماً بأن الاتحاد في صدد إقامة الدعوى الجزائية والمدنية على كاتب المقال وعلى رئيس تحرير جريدة الوطن للمطالبة بأقصى العقوبات المقررة قانوناً.

اتحاد الكتاب العرب

تحية وتقدير

الأستاذ الأديب غونتر غراس المحترم

تحية نضالية:

إن اتحاد الكتاب العرب في سورية يحيي صرختكم الوجدانية الموضوعية التي عبرتم بها عن معاني القيم السامية والنبيلة والوقوف إلى جانب الحق العربي.

وهو يقدر لكم ذلك، ويتمنى أن تحفظكم العناية الإلهية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

رئيس اتحاد الكتاب العرب

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

من طقوس الخطر

يا للموعد الذي يستطيع اجتذاب كل هذا الجمع من البشر، حتى لو كان للرحيل!

*

يا للفضاء الذي يغص بما لا يسمح لكوة بالتنفس،
وينفتح حتى تقتلني الحيرة في أيّ اتجاه أمضي!

*

الحدود التي تشهد كل هذا القدر من الاشتباك..
الحدود ذاتها التي لم تسمح لأيّ منا أن يتنفس بأمان!

*

أكاد لا أصدق أنني من يطارد الحمائم، أنا الذي أمضيت عمري في اقتفاء أثرها!

*

أكاد لا أصدق أنك أنت من يرجمني بكل هذا الحنق والحقد، وأنا راضٍ؛ أنت الذي استنزف رحيقي، وأنا راضٍ أيضاً!

*

في الطريق إليها، عليك أن تتحاشى الكثير من السهام والأسهم.

*

لستُ في خطر، أنت من أقنعني بذلك؛ فمن يأخذ بثأري!

*

تتوقف في المكان الذي تكثر التحذيرات من خطره، لئلا تظل خائفاً من صداه!

*

لا تطل الوقوف في مرماي، لست أستطيع تحمّل المزيد من الخطر.

*

إذا كنت قد عبرت؛ فهذا لا يعني أن المكان آمن.

*

لست في مأمن!
أخاف أن أشرب، أو آكل، أو أقوم، أو أنظر، أو أتنفس، أو أنام..
فما الذي تبقّى من معنى للنجاة.. إذن؟!

*

أرجأت الكثير حتى يكون له قيمة؛
مرّ الكثير مما لم يعد له قيمة!

*

ألا تحمّلني أكثر مما يليق، حين يمر الغيم بلا مطر؟!

*

ألا تتحمّل أكثر مما يجب، إذا كنت تريد أن تجري الأمور كما تحبّ؟!

*

في الحلم.. كان الخطر أكبر،
في الواقع.. الخطر أقرب!

*

بالأمس لم أنم جيداً،
ولم أفق تماماً!

*

صباحك النهاري يغيظني أكثر، لأنه يجعلني أكثر شكاً!

*

أنا حذر من الأخطار البعيدة، فتعثرت في أول خطوة!

*

ربما كان السهم الذي تتجنبه، أقل سميّة من ذاك الذي ينتظر في الجهة التي تميل إليها!

*

في خطوك من خطر إلى خطر، قناعة أنك لا تزال حياً!

*

لست في وارد الانكفاء ولا الاختباء؛ من قال إن الملجأ أقل خطراً؟!

*

على مشارف الخطر، يكون للخطو والوقت والعمر معنى!

*

أيها الخَطِر، لماذا اختبأت حين مشيت لا ألوي على شيء؟!

*

ما يؤلمني أنك غير قادر على النظر في عيني قبل أن تطلق!

*

خففوا تهامسكم؛ ضجيجه يقتلني مرات!

*

النظرة الموارِبة التي تسددها إليّ، تؤكد أنك غير مقتنع أو واثق بأنك قاتل محترف!

*

النظرة الثابتة تسمح لي بالاقتراب منك أكثر، حتى لو كان في ذلك خطر أكبر.

*

أحدّق في المشهد: شوارع وعمارات تتزاحم ومآذن تتعالى.. بلا كائنات، ولا أصوات؛ فأخاف أكثر!

*

الحركة التي تتنامى قبل تنفيذ الحكم، تجعلني أحس بالأمان!!

*

لست على بيّنة من الزناد الذي أطلق؛ لا يهمّ.
لست على بيّنة من السهم الذي أصاب؛ لا يهمّ.
لست على بيّنة من الخلطة التي انفجرت في دربي؛ لا يهمّ.
لست على بيّنة ممن أطلق أو فخّخ؛ ذلك هو المؤلم.

*

العبور الصعب أهون من القعود اليائس.

*

لم أعد أحدّق في ملامحك؛
لم أعد أفكّر في مواقفك؛
لم أعد أنشغل بحركاتك؛
بتّ أخاف من بسمتك العارضة، ودعائك الملحّ، ولقائك.. ويدك الممدودة حتى إلى سترتك!

*

كنت أسعى رغم الخطر إلى أن نلتقي أكثر..
كيف أصبح موعدنا أكثر خطراً؟!

*

أفكر اليوم كم كنت ساذجاً، غافلاً.. أتحسس اليوم كم كنت حالماً واهماً..
أشقى الآن لهذه الواقعية؛ فأحدنا سيخرج بلا رجعة!

*

أنت من أطلق؟! لا أصدق، لا أتمنى، لا معنى للعيش بعد ذلك!

*

ها أنت تتحقّق فيما إذا كان وصل العدد إلى العشرة المئة.. من الضحايا، بدل أن تعدّ إلى العشرة، المئة، الألف.. قبل أن تطلق!!

***

gassan.k.w@mail.sy

المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: حنان درويش

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
إسماعيل الملحم - د. حمدي موصللي - زهير هدلة - د. عادل فريجات - عياد عيد - مريم خيربك

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن - تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986